عبد السلام طاهر الساسي

يقدم

نظرات جديدة
في
الأدب المقارن
وبعض المساجلات الشعرية

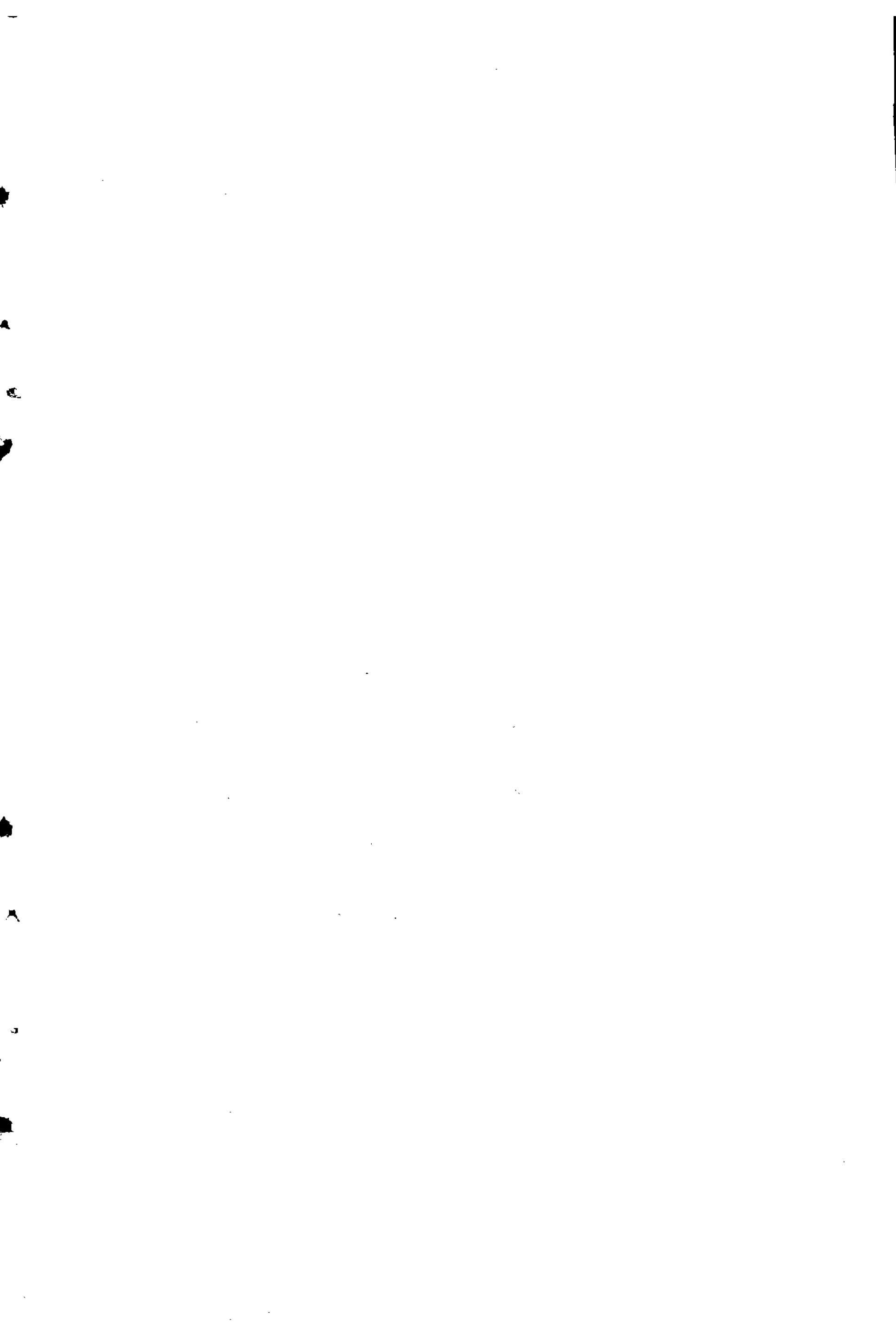
مكة المكرمة - الحجاز
١٣٧٧ هـ

دار منفيس للطباعة - ت ٢٦٨١٨

الإهداء

إلى الأحرار المفكرين العاملين على نهضة
الأمة والوطن العربي الأول .
إلى كل كاتب وشاعر .
إلى من يساير الحركة الفكرية ويوليها جهوده الجبارة
ويذود عنها بنفسه ونفيسه :
أهدي هذه النظرات ؟

مكة المكرمة غرة المحرم ١٣٧٧هـ   ع . الساسي



كلمة الناشر

أثار موضوع هـذه النظرات فى جريدة البلاد السعودية الأستاذ الصـديق الأديب عبد العزيز الرفاعى فى مطلع عام ١٣٧٤ هـ مع لفيف من الـكتاب ، وقد كنت أحد المشتركين فى البحث والمساجلة ، وأحد المؤيدين لهذه الفـكرة الأدبية التى تمخضت عن بروز طائفة من الأفـكار فى هـذا الـكتيب الضئيل .

وفى غرة جماد الثانى ١٣٧٤ عندما زار الدكتور طه حسين هذه البلاد وضجت به أدبيا ، ورأس المؤتمر الثقافى التاسع وجدت النقطة الأساسيه للبحث والمناقشة ، وقـــد وجهت بعض الأسئلة إلى لفيف من أدبائنا المعروفين ليعطى كل منهم فـكرة واضحه جلية فى هذا الموضوع .

ولقد كنت أرغب أن يكون الصديق الأستاذ الرفاعى أول من يكتب فى هـذا المضمار لأنه صاحب الحلبة فيه ، ولـكنه اعتذر وأبدى أسفه الشديد لمشاغله الرسمية الهامة التى حالت دون كل عمل أدبى .

كما أن ثمة طائفة من الأدباء المعروفين قد أصروا إصرارا قاطعاً على عدم الإجابة وعدم الخوض فى هذا البحث لأمور تختص بهم وحدهم .

ولم يكن الغرض من تقديم هذه الأفـكار الا تنويرا لأذهان الناشئة وتلقيحا لأفكارهم ، وهـذا من أوجب ما يجب أن نقدمه لأبنـاء الجيل الحديث الذى هو أمانة فى أعناق رواد الأدب وأساطينه وهذا شأن كل أمة حية تريد أن تحيا حياة كلها أدب وحرية ونور .

وعلى هذه الاعتبارات قدمت الخطاب الآتى مشفوعا بالأسئلة المطلوبة:

حضرة الأديب الفاضل الأستاذ المحترم

تحية وتقـــديرا . .

طالما خطر لى أن أوجه إلى أدبائنا المعروفين أسئلة تتعلق بصميم الأدب ، ولـكنى كنت أتردد فى تحضير هذه الأسئله وتركيزها وتوجيهها إلى هدف واحد . والآن وقــــد ضجت البلاد أدبيا بزيارة الدكتور (طه حسين) لهـا وترؤسه للمؤتمر الثقافى التاسع فقد وجدت النقطة التى أحددها للسؤال ، لا سيما والدكتور صاحب مدرسة وأتباع ينافسون أتباع الأستاذ العقاد ، الأمر الذى ترك مجالا للـكتاب أن يتفلسفوا فى تحـديد مكانة كل من الأديبين الـكبيرين إزاء صاحبه ، فلهذا يسرنى أن أوجه اليكم السؤال فى شكل أسئلة صغيرة أرجو الجواب عليها بالدقة التى يليق بى أن أعدها رأيا لـكم معتدا به فى هذا المجال ، وإنى فى فترة انتظارى لجوابكم السديد أقدم لـكم أسمى تحياتى .

جدة ـ ١٩/٦/١٣٧٤ ـ هـ

المخلص

عبد السلام طاهر الساسي

الأســئله

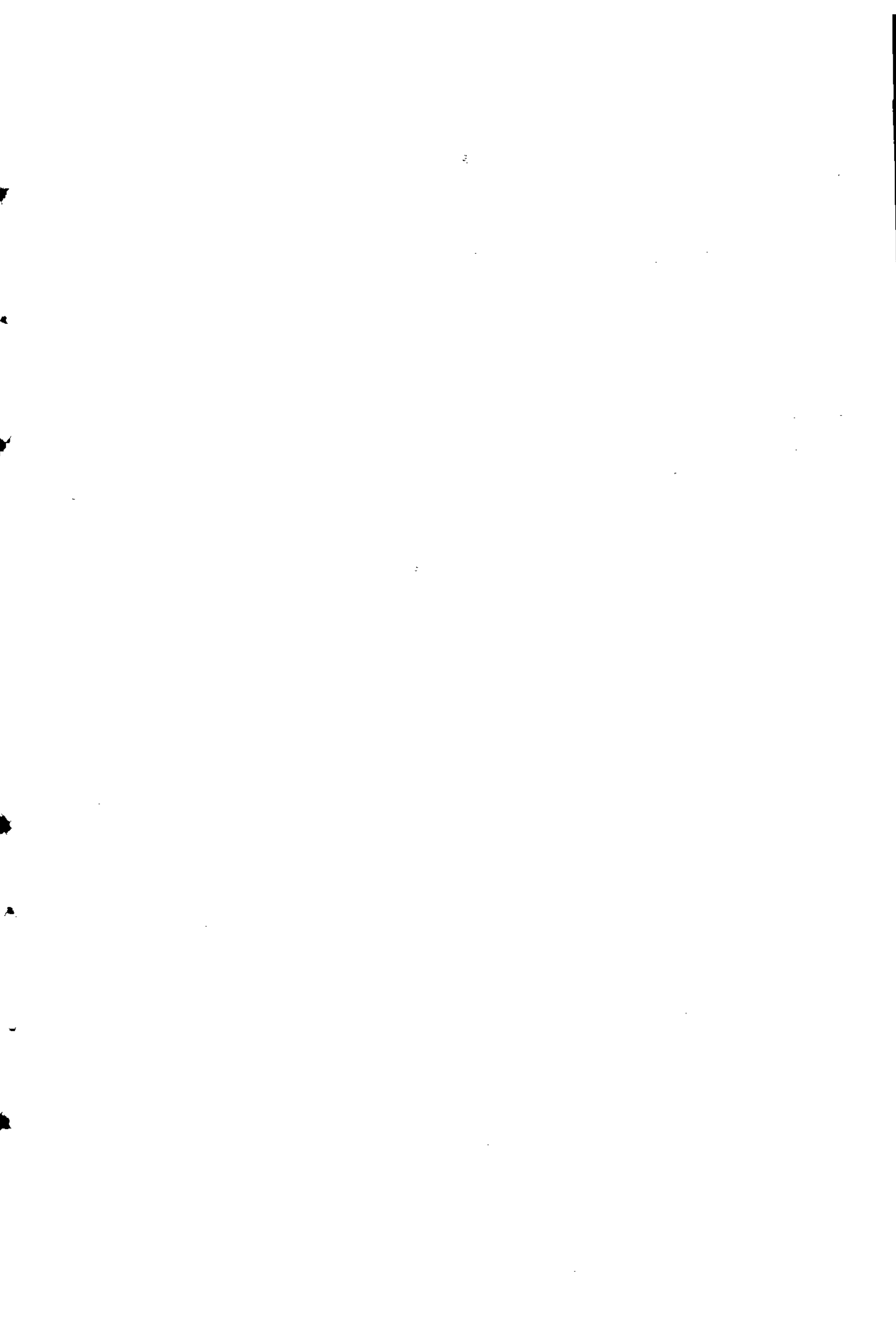
(١) ما نصيب كل من العقاد وطه حسين فى فلسفة الحياة التى هى أساس كبير من أسس الأدب ؟ وفى أى مؤلف من مؤلفات الأديبين الكبيرين نجد هذه الفلسفة واضحة ومركزة ؟

(٢) أى هذين الأديبين أميل إلى الدقة العلمية والتحقيق العلمى والنزعة العلمية بوجه عام ؟ وأيهما أميل إلى النزعة الأدبية المحضة بما فيها من فضائل واختصاصات ؟ وما هو الدليل على ذلك من كتب الأستاذين الكبيرين أيضا أو من غير كتبهما ؟

(٣) ما رأيكم فى عمادة الأدب العربى أهى حقيقة أم خيال ؟ وهل هى شىء يشرف الأديب ويستحق أن يتشبث به الناس ؟ ويستتبع ذلك رغبتى فى عرض رأيكم عن أمارة الشعر ؟ وإذا كانت العمادة حقيقة فمن أحق بها من هذين الأديبين الكبيرين ؟ .

(٤) ما هو رأيكم بصفة عامة فى الألقاب التقليدية التى يخلعها بعض الصحف وبعض الكتاب على بعض أعلام الأدب مثل ألقاب (أمير الشعراء ـ وأمير البيان ـ وعميد الأدب ـ وأستاذ الجيل) وغيرها ؟

عبد السلام طاهر الساسى



جواب الأستاذ الكبير احمد ابراهيم الغزاوى

حضرة الأستاذ المحترم والأديب الشيخ عبد السلام الساسى : حفظه الله

تحية واحتراماً . وبعد فقد حظيت اليوم بخطابك الكريم المؤرخ فى ١٩/٦/١٣٧٤ - وأمعنت النظر كثيراً فى الأسئلة التى تفضلت بتوجيهها إلى ؛ وما انتهيت منها حتى وجدتنى أسرع إلى الإجابة فى غير تلكؤ ولا تسويف ؛ وكلى شعور بالغبطة والاحترام لسعيك الموفق ودأبك المشكور ، وإليك ما حضرنى فى ذلك .

عن السؤال الأول :

إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره - كما يقولون - وإنى أجهل ماهية (الفلسفة) فلا يصح لى الكلام عنها ، وبالتالى عن نصيب هذين القطبين العظيمين منها - وكلاهما ممن يشار إليه بالبنان .

عن السؤال الثانى :

إننى لأشعر فى قرارة نفسى بأننى لست فى مستوى من المعرفة والثقافة يخولنى حق المقارنة بينهما فى الميل أو التركيز . . . خصوصاً أن قراءتهما المجردة لا تهب القارىء - من طبقتى - القدرة على أن يقف معهما فى صف واحد ، وأن يتصدى لهذه المفاضلة التى لا يحسنها إلا من كان له حظ عظيم من الجهاد الأكبر (مثلهما) . . .

عن السؤال الثالث :

أما العمادة — وإمارة الشعر — فما أظن أنهما أطلقا من قبل ومن بعد إلا من قبيل التكريم أو التقدير فقط ! والهدف منهما بعث النشاط الأدبى وتغذية الشعور بالتفوق بما يحفز إلى الأمام دائماً .. وقديماً درج الناس قبلنا على مثل ذلك فرأينا (الأندلس) تطلق على (ابن زيدون) ذا الوزارتين ، وما فى ذلك من حرج !! اللهم إلا ما يثيره من حروب (حارة) و (باردة) تشنها المنافسة والمعاصرة .. وتنشأ عنها هذه (الخصومات الأدبية) التى يحمى وطيسها بين صاحب اللقب وأحزابه ممن هم فى القمة العالية .. وهى لا تخلو (على رأى صديق الجميع الأستاذ الكبير عريف) من فوائد جلى ذات أثر مباشر فى تكييف الأدب وتطوره المستمر !!

أما من هو الأحق بالعمادة منهما ؟ فاعذرنى يا سيدى إن قلت لك إنه لايملك بيان ذلك إلا من له نفس المؤهلات .. بل (وزيادة شوية)!! و(الفقير إلى الله) كما تعلم (خاوى الوفاض ؛ بادى الإنقاض) كما يقول (الحريرى) .. ورحم الله (عصر المقامات) كما رحم (امرأ عرف قدر نفسه) !!

عن السؤال الرابع :

وإمارة الشعر ؛ وإمارة البيان ؛ وعمادة الأدب ؛ وأستاذية الجيل ؛ إنما كل أولئك ألقاب تشريفية معنوية .. وما هى إلا من قبيل قول الشريف الرضى .. فى البيت المعروف :

فخذ النوم من جفونى فإنى قد خلعت الكرى على العشاق ؟!!

ولذلك قصة لا أظنها خافية عليك فيما يقصه أدب القدماء ! !

وإنك لتعلم يا عزيزى أن العرب قد ضربت الأمثال الحكيمة ومنها قولهم : «كل فتاة بأبيها معجبة» وهذا يكفى عن المثل السائر فى أدب العامة نحوه !! فما يليق بنا فى موضوعنا هذا إلا الأول . .

وإلى أن يتساوى الناس فى المعرفة ؛ والعقول فى الإدراك ؛ استواء متكافئاً ويكونوا كأسنان المشط فى مواهبهم ومزاياهم الإنتاجية والذهنية فإنه لا خطر على المتأدبين أن يعرفوا لذوى الأثر البارز امتيازهم وتفوقهم وأن يقـــدروا لهم مكانتهم بما شاءوا من ضروب التعزيز والتمييز . ولهم فى ذلك أسوة حسنة بالسيرة النبوية فقد كان يطلق على القائد العظيم خالد بن الوليد رضى الله عنه ــ سيف الله ــ بما له من مواقف يعتز بها الإسلام ؛ وما خاضه من معارك حاسمة فى أعداء الله .

والمسألة اختيارية . . وهى لا تعدو بحال مجرد الإكبار على حساب المعترفين بالفضل لأهله . . كما أنها لا تلزم سواهم (قانوناً) !! ولا (عرفا)..

وباعتبار أنها مجاملة محمودة . . وحفز قوى للمشاعر والهمم ؛ وتوجيه كريم للنشء لاقتفاء سير المبرزين . . فإن من يظفر بها مهدد بخسرانها وفقدها إذا اعتقد هو أنه (صاحبها) الممتاز دون سائر العالمين ! ! وذلك ما لاحظته فى أحاديث ضيفنا الكبير حيث كان من التواضع بالدرجة التى تزيد فى رفعته وتضاعف من كرامته ! !

وما فى الأدب من حيث هو نظم ونثر ما يحصر الإنسان فى إنسان دون ســـواه من خلق الله . . وإنما يقوم الميزان وينصب فى (المحاسن والأضداد) . . على قاعدة رجحان الخير أو الشر فى قول المرء وعمله معاً يوم ترتفع الموازين . . ولكل أديب حسناته وسيئاته ، وتحليقه وإسفافه مهما دق أو جل ! وذلك شأن البشر منذ برأهم الله ورزقهم ؛ فهم أنماط فى الخلق والتكوين . . وأصناف فى الخلق والتمكين و (سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامة) ! ! وتبارك الله الذى تنزه عن النقص وتفرد بالكمال جل وعلا . .

ولك شكرى أيها الأديب اليقظ النابه المفضال .

مكة — ٢٠ / ٦ / ١٣٧٤

أخوك

أحمد ابراهيم الغزاوى

جواب الأستاذ الكبير محمد حسن عواد

تلقيت – فيمن تلقى – من صديقنا المضطلع بترويج أدب المملكة السعودية ، الأستاذ عبد السلام الساسى ، أسئلة أدبية أربعة ، يدور اثنان منها حول الكاتبين الكبيرين « العقاد » و« طه حسين » ومحاولة فهم الصلة بين أدب كل منهما وفلسفة الحياة من جهة ، والنزعة العلمية من جهة أخرى.

ويتناول الاثنان الآخران معرفة أراء الأدباء فى عمادة الأدب وإمارة الشعر وسائر الألقاب التى تخلعها الصحف على الأدباء ، وهما سؤالان يلمسان العقاد وطه أيضاً من قريب أو من بعيد .

ومع إعجابى بلباقة الأستاذ الساسى ، وتصيده الآراء ، والاهتمام بنشرها على الناس لتزويد المكتبة العربية بأكبر ما يمكن من المؤلفات السعودية ، وتلقيح التفكير الحديث بما يمكن من الآراء والنظريات ، وأظن أن هذا هو هدفه الأول من التأليف . ونعما هو من هدف يخدم نهضتنا الأدبية ، ويبعث الحركة فى همم الأدباء ، وينقل إلى القراء فى خارج البلاد صوراً صادقة من تفكيرنا . .

أقول : مع إعجابى بهذا الجهد الاجتماعى الذى يجب أن يعرف للأستاذ ، ويسجل فى صفحات جهاده الأدبى الذى لم يفتر خلال عشرين سنة ، فأنى أرى أنه كان أولى به لو ترك العقاد وطه حسين جانباً ، ووجه اهتمامه الحى إلى موضوع أكثر شمولا للتفكير العربى والفلسفى معاً كأن يجمع الآراء – مثلا – حول هذه المملكة السعودية وصلتها بأدب

العالم ، ومركزها من الثقافة العامة المشتركة التى يقرب المدى بينها وبين شقيقاتها العربيات من جهة ، وبينها وبين زميلاتها من الشرقيات من جهة ثانية ، وبينها وبين الغرب من جهة ثالثة ، ويسأل الأدباء — وهو الدؤوب على السؤال النافع — عن الرأى الحر عند كل منهم فى وسائل الحضارة الفكرية التى ترفعنا درجات فى فهم فلسفة الحياة ، وفى الاشتراك العملى مع الأمم فيما يعالجه أدباؤها ومفكروها من مجالات الحياة العامة التى يوحيها الوعى الاجتماعى ، والتطلع الاقتصادى ، والهمة الصناعية ، وسنة التطور والارتقاء ، بوصفنا أمة يكمن فيها الوعى من قديم ، ويحفزها لأن تتماسك وتبحث عن نفسها ، وتسعى إلى حياة حرة ، وإلى تحقيق قيم إنسانية صاعدة .

هذه هى المسألة — كما يقول « شكسبير » فى إحدى قصصه .

وأحسب أن الأخ عبد السلام لم يهمل هذا الأمر من جدول أعماله الأدبية التى سيهيؤها للمستقبل ، وأعتقد أنه سيفاجئنا به يوماً من الأيام .

وكأنى بقائل يقول ما بالك تحمل الساسى وحده هذا العبء دون أن تطلبه من الأدباء مباشرة ؟

وجوابى السريع على هذا الاعتراض أن الأدباء لا يطلب إليهم موضوع معين ، فهم هم الذين يبتكرون الموضوعات بوحى الساعة ، او بوحى الحياة الدائرة ، وإنما يوجه هذا الطلب إلى الذين يحبون أن يجمعوا آثار الأدباء وآراءهم ، وينشروها فى العالم . فهم أحرار بهذا التوجيه . وصديقنا الساسى على رأس هؤلاء الجامعين والناشرين ،

فقد قام بهذه المهمة منذ زمن طويل ، فأخرج للقراء أربعة كتب أدبية متداولة منها اثنان يحسبان فى سجلات تاريخنا الأدبى .

وقد سبق الأدباء هذا السؤال ، فأعطوا الحياة بعض ما أخذوا منها مضافاً إليه بعض ذخائر نفوسهم .

وما زالت هذه النفوس تجيش بما يجب أن تتناوله المطابع بالنشر ، ليسرى فى حياة البلد العامة — على الأقل - سريان الصحة فى الجسد المريض .

ولعلى بلغت الرسالة بهذه الإشارة العابرة التى اقتضتها استجابتى للسائل ، واستعدادى للإجابة على ما طلب .

وهأنذا أجيب

جوابى على السؤال الأول

إن المدة الأدبية التى عاشها كل من الكاتبين تزيد على نصف قرن من الزمن، وقد ألف كل منهما فيها أكثر من خمسين كتابا ، ولا أرتاب فى أن كليهما ضمن كتبه جانبا كبيرا من فلسفته ، لا فى الحياة فحسب بل وفى الناس ، والكون ، والفن ، والطبيعة ، والدين .

فنصيب الاثنين من الفلسفة العامة وافر ملموس ، فى جميع هذه الكتب، يرتفع ، وينخفض ، على قاعدة تناسبية تبعا للموضوع أحيانا ، ولتجربة الكاتب واهتمامه أحيانا أخرى .

ونصيبهما من فلسفة الحياة خاصة — كما يريد السؤال — كبير .

إلا أن نصيب العقاد منها أوفر من نصيب صاحبه .

والتعليل هو أن العقاد حر التفكير ، منطلق من القيود الوضيعة التي تحد من نشاط العقل ، وذلك بحكم نشأته ، أو تربيته الدراسية القصيرة التي لم تخضع طويلا للتوجيهات التقليدية التي تفرضها قوانين المدرسة والكلية والجامعة ، والبكالوريا والليسانس والدكتوراه ، وأشباهها ويفرضها التطلع إلى المراكز العلمية .

هذه الأعمال الثقال والهموم الثقال انطلق منها العقاد ، بينما خضع لها طه حسين، فروضت عقله على الاتباعية ، وقادته إليها مرحلة بعد مرحلة .

أما عن النزعة العلمية ، وبروزها فى كتابة الأديبين ، فما دام التفكير العلمى - وأعنى هنا إدارة التفكير والأداء على مناهج العلم الحديث التقريرية والخضوع « لروتينها » الرتيب — أمرا تلاحظه العقلية المتأثرة بالمناهج العلمية ، فإننا نستطيع أن نقول بسهولة إن النزعة العلمية — على هذا التفسير — تسود كتابات « طه حسين » أكثر من كتابات صاحبه .

وليس معنى هذا أن العقاد « يشطح » أو يجانب هذه المناهج ، وإنما معناه أنه ينظر إليها نظرة حرة مستقلة « ابتداعية » ، لا كما ينظر المتدين الى نصوص الدين ، فهو لايتورع عن مناقشتها ونقدها ، وترجيح إحداها على الآخر عندما تختلف ، أو عبورها إلى شاطىء لم يعبره أحد واضعيها ، يراه هو أكثر انطباقا على التفكير العلمى الحر ، كما فعل — مثلا — فى ترجيح الرأى التشخيصى من الآراء الباحثة عن نشأة الأساطير وذلك عندما يقول فى كتابه «الفصول» فى صفحة ٢٨ تحت عنوان « آراء فى الأساطير »، مانصه :

« الرأى التشخيصى هو أصوب الآراء فى تعليل منشأ الأساطير ، وأقربها إلى الإقناع ، وأجمعها لأوجه التطبيق والتأويل . وفحوى هذا الرأى أن من ديدن الإنسان أن يخلع شخصيته على الموجودات ويتمثل ذاته فى القوى والعناصر المجردة . فيرى لها ، عامداً أو غير عامد ، شخصاً كشخصه ، ونية كنيته ، وحياة كحياته . وإن هذا الوهم الذى لامحيص عنه للمرء يظهر أشد الظهور فى الطفل والرجل الشرس السيىء الخلق . فترى الطفل يضاحك الأشياء ويغاضبها ويحنق عليها ، والرجل الشرس يصيح بها ويسبها ، ويقتص منها ، كأنها تفهم ما يقول أو تقصد ما تعمل . وقد يظهر فى الرجل الرشيد إذا ملكه الحزن أو الغيظ ، فيخاطب مالا يعقل خطاب العقلاء » .

ثم سرد العقاد آراء علمية أخرى تقابل هذا الرأى الذى صوبه ، كرأى الفيلسوف الإنجليزى « هربرت سبنسر » القائل إن الأساطير ترجع إلى عبادة الموتى حيث كان الهمج يعبدون أرواح أسلافهم وينسبون إليها ما يصيبهم من الخير والشر ، وينحلونها صفات الإنسان .

وكرأى اللغوى الألمانى « ماكس موللر » القائل إن الأساطير ضرورة أوجبها ضيق اللغة فى الأيام الفارطة ، فكانوا إذا جعلوا الشمس أما فعلى سبيل الاستعارة كقولنا إن إيطاليا أم الفنون ، ولكنهم لضيق اللغة كانوا يعممون ذلك فى حديثهم فيسرى منه إلى المخيلة عفواً وعلى غير قصد .

ثم يعلق العقاد على كل رأى من هذه الآراء ، ويتبعه برأيه هو فيه .

فيقول عن مذهب سبنسر : إنه وجيه يسهل به تعليل كثير من الأساطير الهمجية ، ولكنه لا يعارض الرأى التشخيصى ولا ينفيه ، لا سيما إذا عرفنا أن الغريزة التشخيصية عريقة فى الحيوان قبل الإنسان الخ . . .

ويقول عن مذهب مولر : إنه من المذاهب المعول عليها فى تفسير طائفة من الأساطير الأغريقية ، والهندية ، ولكن ضيق اللغة إذا جاز أن يكون سببا لتسمية الجمادات بأسماء الإنسان فما هو بمغن فى تأويل خوفه منها وتأميله فيها فضلا عن تأويل ذلك فى أطفال لا يتكلمون وفى عجماوات لا تصورها اللغة .

وبعد هذا الاستعراض الدقيق والنقد العلمى الرائع يخرج العقاد بخلاصة مرضية لهذه الآراء يقدمها عقله الجبار فى ألفاظ وجيزة تجمع أهم عناصر الآراء الآنفة الذكر ، مع إبراز قوة الرأى التشخيصى الذى فضله على كل الآراء بالحجة الدامغة ، فقال :

« وخلاصة هذه الآراء أن الإنسان مشخص برغمه ، فهو إذا مثل قوة مجردة أو وهبها زيه يسيطر عليها زواله ويحلها أعماله » .

هذا مثل واحد من أمثلة عديدة لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب العقاد.

وبالمقابلة بينه وبين طه حسين فى هذه الناحية نجد أن هذا يكتب على غير هذا النمط « الابتداعى » فنراه يجامل المناهج والمذاهب ويكاد يتعبدها استجابة من عقله الباطن « لروتين » الدراسه الجامعية .

اقرأ له مثلا هذا البحث فى كتابه « ألوان » فى صفحة ١٨٨ بعنوان « الأدب بين الاتصال والانفصال »

« أى المذهبين أهدى سبيلا ؟ مذهب الأديب الذى يؤثر العزلة لعقله وقلبه وفنه ، وينظر إلى الحياة الإنسانية الواقعة من برجه العاجى ، لا يحفل بها ولا يقف عندها ، ولا يلتفت إليها ، إلا أن تكون مصدرا لأثر من آثاره الفنية ، فهو حينئذ يستوحيها ويستقصيها ، ويصدر عنها فيما يرسم من الصور ، وما يحدث من الآثار ، يقف منها موقفه من الطبيعة غير الواعية ، يتخذها مادة لفنه دون أن يشاركها بعقله وقلبه وشعوره فيما يختلف عليها من الأحداث ، وما يليها من الخطوب — أم مذهب الأديب الذى يأخذ بحظه من هذه الحياة الواقعة فيسعد حين تشيع فيها السعادة ، ويشقى حين يستأثر بها الشقاء ، ويجاهد مع المجاهدين ليكسب لنفسه وللناس ، أو قل ليكسب للناس ولنفسه حظا جديداً من سعادة ، وليدفع عن الناس وعن نفسه طائفا عارضا من شقاء ؟ » .

وبعد أن يعرض الدكتور هذين المذهبين يسترسل فى سرد تاريخ كل منهما عند الفرنسيين فى القرن السابع عشر ، ثم فى الثامن عشر ، سردا مجردا ، ثم يبحث عن هذا التضامن وهذا الاعتزال – أو الاتصال والانفصال — فى الأدب اليونانى ثم فى الأدب العربى ، فيسهب حتى يصل إلى أواخر القرن الماضى ، والتطور الحديث ، ويختم المقال — وهو فى ثمانى عشرة صفحة — بدون أن يفرض رأيه بين الآراء ، أو يرجح أحدها على الآخر ، أو يرتفع عليها الارتفاع الفلسفى الذى لمسه القارىء فى بحث العقاد عن الأساطير .

ومن هذين النموذجين يستطيع القارىء بلا مجهود أن يميز - أيضا - بين أسلوبى التعبير عند هذين الكاتبين ! .

ولولا الإطالة وما قد يتبادر من اتهام القارىء بالكسل أو الحاجة إلى تعداد الأمثلة لنقلت له نماذج أخرى متعددة من كلا الكاتبين — عن كتبهما الكثيرة — لوضع يده — بصورة أوضح — على الغرض المنوه عنه، ولكنى أترك هذا لنشاطه وذكائه ووقته .

بقى البحث عن استساغة إطلاق الألقاب التى تنهال على كبار الأدباء فى الشرق من مثل « أمير الشعراء » و « أمير البيان » و « استاذ الجيل » و « فيلسوف الشرق » و « عميد الأدب » .

ورأيى فى هذه الألقاب سيىء — مهما كانت الخدم التى قدمها من تخلع عليهم للفكر أو للشعر — لأنى أعتقد أنها موازين مغشوشة لتقويم الأديب، تخدع السامعين والقارئين، وتنفخ فيمن توجه إليهم روح الغرور واستبطان الزعامة الموهومة . هذا فضلا عن أنها تعابير خاوية لا تحمل معانى صحيحة محترمة وأنها مبالغات مضحكة لا يطلقها إلا متملق ، ولا يقبلها الا مغفل ، ولا يقرها إلا جاهل أو موافق على الاستهانة بشأن الأدب والفكر والبيان، عابث بثقافة الجيل والشرق .

خذ مثلا هذا اللقب المدوى « أمير الشعراء » الذى أطلقه صحفيون مصريون على « أحمد شوقى » فى عصر ميوعة الأدب تزلفا لمركزه السياسى أو الإدارى — لا اعترافا بتفوقه الفنى ، لأنه لا يملك هذا التفوق — إنه كلام لا قيمة له .

فالشعراء أنفسهم لم يقولوا للصحف إننا نصبنا شوقى أميرا علينا .

والشعراء لا يقولون مثل هذا الهراء ، لأنهم إن كانوا مصريين فهم أفراد من الشعب المصرى الذى يقوم على إمارته حاكم مصر وليس هناك مميز آخر خاص بشعراء مصر . وإن كانوا غير مصريين فأميرهم هو نفس الأمير الذى يحكم إخوانهم من أفراد الشعب الذى ينتسبون إليه فى بلادهم، وهو غير مصرى بطبيعة الوضع الإقليمى ، ولم يثبت فى التاريخ أن شعراء البلاد العربية أو احداها طلبوا إلى الصحف المصرية أن تعلن بلسانهم أنهم أمروا شوقى عليهم .

كل هذا إذا قصد من وراء هذه اللعبة إمارة معقولة ، أما إذا أريدت « إمارة شعرية » ذات طابع فنى فإن المسألة تتحول إلى هزل وتهريج ، فالشعر ليست فيه أمارة ما ، والفكر لا يحكمه أحد من رجاله ولا من غير رجاله ، لأنه بطبيعته حاكم غير محكوم ، وسيد غير مسود .

وكم كان سخفا وغرورا من شوقى وأنصاره أن يدعوا بعض أدباء البلاد العربية من الطراز المنحل فى سنة ١٩٢٧ م ليقيموا حفلة مبايعة لشوقى بهذه الإمارة الوهمية المفتعلة .

وكم أحسن الحجاز ، أو المملكة السعودية ـ دون سائر البلاد العربية ـ فى الاستخفاف بهذه الظاهرة عند ما أضرب عن التجاوب مع أصحاب الحفل حتى اضطر شوقى أن يقول عاتبا أو مندداً :

يا عكاظا تجمع الشرق فيه   من فلسطينه إلى بغدانه
وافتقدنا «الحجاز» فيه فلم نعـ   ـثر على قسه ، ولا سحبانه

أما كاتب هذا البحث فلم يكتف بهذا الموقف السلبي المستخف، بل قال في الحادث بعد ذلك باثنى عشر عاما — من ضمن قصيدة « يد الفن تعصف بأصنام الاتباع »

ليس للشعر من أمير سوى الفكر، وحى الشعور — لا وسنانه —
يلهمان الهدى ونفث الرؤى الحرة — فى فنه — إلى فنانه
فالحساب الحساب للفكر خلاقا بعيد المضى فى أشطانه
ونفوس ترى الكرامة قدسا وحياة الضمير من أديانه
تنشر العزة الطليقة والتوجيه والنقد عاليا بكيانه
وتنير السبيل للشعب والفرد، فتسمو حياته بجنانه
ثم تمضى به إلى المستوى الحافل مستشريا — على عنفوانه
تلك فى الشعر من سجية سحبان حديثا، وغابرا فى زمانه
تعرف الشعر سيدا وطليقا وقويا إذا مضى فى استنانه
لا يلى عرشه الرفيع أمير أو مليك يعتز فى « مهرجانه »
و « الحجاز » الذى يحس بهذا قاد وحى القريض طوع بنانه
فانصب المهرجان لعبة فرد وتمتع - ومن ترى - باحتضانه
فهى أضحوكة على الأدب المملوك، تغرى دعاته بامتهانه

وقل مثل هذا فى « عمادة الأدب » واستاذية الجيل و « فلسفة الشرق » إنها ألقاب لاعبة يمليها أدب مريض غافل، وتتقبلها نفوس مريضة غافلة،

جواب الأستاذ محمود عارف

في صدر الأديب الأستاذ عبد السلام الساسى أمنية كانت تلوب فى نفسه من زمن بعيد ، لوضع موازنة بين كل من الأديبين الكبيرين عباس محمود العقاد والدكتور طه حسين وتحديد مكانة كل منهما إزاء صاحبه ، واليوم قد تحققت هذه الأمنية فى شكل أسئلة وجهها إلى أدباء المملكة العربية السعودية لتكوين عدة أراء لهم فى صورة أجوبة يمكن أن يعتد بها كأراء فردية ، وفيما يلى أنقل صورة هذه الأسئلة من خطاب الأستاذ عبد السلام الساسى الموجه لى فى ١٣٧٦/٢/٦ هـ .

١ — ما نصيب كل من العقاد وطه حسين فى فلسفة الحياة التى هى أساس كبير من أسس الأدب ؟ وفى أى مؤلف من مؤلفات الأديبين الكبيرين نجد هذه الفلسفه واضحة ومركزة ؟

٢ — أى هذين الأديبين أميل إلى الدقة العلمية والتحقيق العلمى والنزعة العلمية بوجه عام ؟ وأيهما أميل إلى النزعة الأدبية المحضة بما فيها من فضائل واختصاصات ؟ وما هو الدليل على ذلك من كتب الأستاذين الكبيرين أو من غير كتبهما ؟ .

٣ — ما رأيكم فى عمادة الأدب العربى أهى حقيقه أم خيال ؟ وهل هى شىء يشرف الأديب ويستحق أن يتشبث به الناس ويستتبع ذلك رغبتى فى عرض رأيكم فى أمارة الشعر ؟ وإذا كانت العمادة حقيقية فمن أحق بها من هذين الأديبين الكبيرين ؟

٤ — وما هو رأيكم بصفة عامة عن الألقاب التقليدية التى تخلعها بعض الصحف والكتاب على بعض أعلام الأدب مثل ألقاب أمير الشعراء وأمير البيان . وعميد الأدب . وأستاذ الجيل . وغيرها ؟

(أ) وتحضرنى الإجابة على السؤال الأول بأن لكل من الأديبين الكبيرين العقاد وطه حسين طريقة فى الحياة واتجاها يخالف كل منهما صاحبه فى التمسك به والسير فى مـــدارج الحياة الأدبية من نشأتهما حتى الكهوله ، فالعقاد تعلم فى مدرسة ابتدائية ثم عالج فنون الأدب فى مدرسة الحياة العملية منذ نعومة أظفاره ، ولهذا نشأ انطوائيا فى معاملة الناس والمجتمع كما عاش طيلة حياته وهو أعزب . وانبساطيا فى معالجته للفنون والآداب وهو بهذه الانبساطية يؤثر العـــزلة على جلبة الدنيا لكى يتفرغ للتبتل فى محراب الفن ، وهو يفضل الإذعان إلى صوت الضمير الحى . ودنيا الفكر المستنير . وعالم الحق والجمال ، أما الدكتور طه حسين فقد درس أول مادرس فى الكتب الصفراء فى حلقات الأزهر ، ولاشتماله على خصائص الحرية الفكرية التى أخذها من تعاليم العالم الحر الشيخ محمد عبده ومن غيره كجمال الدين الأفغانى وعبد الرحمن الكواكبى ولطفى السيد ـ قد هجر الأزهر ورحل إلى فرنسا وهناك نهل من ينابيع العالم الزاخر . وبعد أن تخرج من جامعة السوربون دخل مدرسة الحياة العلمية وهو مسلح بالفكر المنسق والعلم المنظم الذى ناله فى مدرجات السوربون بدلا من

العلم المشوش الذى هجره فى حلقات الأزهر ، ومن هذه المرحلة تطور طه حسين فى حياته العلمية والعملية ، وظهرا اتجاهه فى الحياة الأدبية اتجاها انبساطيا مخالفا به ما عرف عن العقاد من انطوائيته فى حياته الخاصة وانبساطيته فى حياته الأدبية ، ولكل منهما اتجاهاته الخاصة التى تمثل فلسفته الخاصة فى الحياة ، وللعقاد مؤلفات قيمة منها مجموعة العبقريات ومراجعات فى الأدب والفنون ، وساعات بين الكتب وكل هذه الكتب تصور قسطا وافرا من فلسفته الخاصة وفى كتابه الفصول ص٢٠٦ قال: « وإنما وظيفة الحياة أن تعطى أضعاف ما تأخذ وأن تكون فى داخلها أكبر مما يحيط بها من خارجها لا أن تجعل ماتعطيه على قدر ماتأخذه ولا أن تكون هى وما يحيط بها على حال سواء » وهذا الكلام جاء فى نهاية مقال عن المتأنقين وفيه خلاصة فلسفته فى الحياة هذه الفلسفة التى يستمدها من الروافد الكبرى: الضمير والفكر والفن والحق والجمال ،

ومن كتب طه حسين التى تمثل فلسفته الخاصة: الأيام ، وألوان ، والفتنة الكبرى ، ودراسات أبى العلاء والمعرى . وفى كتابه من بعيد ص ٢٧٠ ما نصه: «ذلك بأنه كان اجتماعيا محتاجا إلى أن يعطى الناس ويأخذ منهم فهو لا يستطيع أن يكتفى بما يحس فى نفسه بل لا بد له من أن يشرك الناس فيما يحس ، وقد يوفق إلى ما يريد فيشاركه الناس فيما يحس ويرى ، وقد لا يوفق فلا يشاركه منهم أحدا

ولا يشاركه منهم إلا القليل » الخ وهذا نموذج من فلسفته الخاصة فى الحياة وهو يعنى بهذا الكلام حقيقة الأديب . وهو تصوير واقع يقربه الدكتور طه حسين كمبدأ ، حين ناقش « كتاب خطرات نفس » لمؤلفه الدكتور منصور فهمى .

(ب) وللإجابة على السؤال الثانى نقول بأن العقاد معروف بالنزعة الأدبية المحضة كما يتضح من معظم مؤلفاته التى تزيد عن السبعين كتابا ، وميله فى هذه الناحية يرجع إلى نشأته الانطوائية فى معاملة الناس والمجتمع ، وانبساطيته فى معالجة الآداب والفنون . وصاحب هـذا الاتجاه يواجه الحياة بالإذعان والهدوء والتبتل الواعى وهـذه هى خصائص النزعة الأدبية التى تلعب دورها فى صراع الروح والفكر . وتؤدى واجبها فى معـركة الضمير والواجدان ويؤيد هذه الخصائص ما جاء فى حديثه عن الصهيونية وفى كتابه « ساعات بين الكتب » ص ١٨١ قوله بالحرف الواحد « لا يزال الإنسان حاسة أقوى من فكرة . وجسدا أوكد من روح . ينبئنا بهـذا كل طور من أطواره ورغبة من رغباته وينبئنا به أنه لا ينى يدير الفكرة فى رأسه ونفسه ثم هو لا يستريح حتى يسمعها صوتا أو يبصرها رسما أو ينحتها فى مثال تلمسه الحواس بشكل من الأشكال » إلى آخر ما جاء فى مقالة ساعات بين الصور من حديث يمثل نزعته الأدبية على طريقته الانبساطية فى معالجته الآداب والفنون . وطه حسين فى هذا المجال يميل إلى النزعة العلميـة لأنه كأديب مؤرخ مهمته الأساسية هى سرد

الحوادث والوقائع والقصص سواء فى الأدب العربى أو الأدب المترجم ، وكل هـذا يحتاج إلى تبويب وترتيب ، يستتبع تلك الغربلة عنـد تحقيق المسائل ثم التحقيق فى الأسانيد والوثائق . وهذه هى درجات التحقيق العلمى التى تمثل النزعـة العلمية فى الدكتور طه حسين . وفى كتبه التى تمس الأدب من جهة والتاريخ من ناحية أخرى دلائل على هـذه النزعة . من ذلك الأدب الجاهلى . وحديث الأربعاء ، ونصيب النزعة العلمية فيهما أوفر من نصيب النزعة الأدبية وفى كتابه من بعيد ص٢٥٤ قرأنا له مناقشة كلمة (أدب) حيث قال :«وأكبر الظن أن كلمة الأدب وما اشتق منهما محدثة أريد أنها نشأت بعد الإسلام لا قبله » إلى أن وصل فى بحثه للكلمة إلى قوله :« فإذا ثبت استعمال الكلمة فى الشعر الذى نظم بعد الإسلام فإن ذلك لا ينقض ما أذهب إليه من أن هذه الكلمة حديثة عرفت بعد القرآن . والحق أنها لم تذكر فى القرآن وإنما ذكر فى القرآن الدأب بسكون الهمزة ومعناه العادة كالدأب بتحريكها » والمناقشة فى هذا البحث كانت قائمة بينه وبين العلامة اللغوى علام سلامه المـدرس بدار العلوم وهى تصور فى أدب طه حسين نزعته العلمية فى تحقيق المسائل سيما إذا كانت هـذه المسائل تمس الأدب من جانب آخر .

(ج) وجوابى على السؤال الثالث بأنه لا توجد عمادة فى الأدب العربى العام ، والواقع أن حكاية العمادة وجدت بين مدرجات الجامعة

وهى فى اصطلاح الجامعيين درجة علمية يختص بها الرجل الذى يدير كلية من الكليات وأول من ظفر بالعمادة فى الجامعة هو الدكتور طه حسين حيث عين عميداً لكلية الآداب . ومعناه الرئيس أو المدير . ويمكن أن تؤكد للناس بأن العمادة فى داخل الجامعة حقيقة ، وفى خارجها خيال وخرافة . وإذا كان للعمادة شرف فهو شرف الدرجة العلمية بالنسبة للأساتذة المدرسين فى داخل الجامعة ، وما عدا ذلك فليس للعمادة شرف خارج نطاق الجامعة لأن مؤهلاتها موجودة فى كثير من الأدباء شيوخا وشبابا ، وإذا تساوت الكفايات بين أديب وأديب أو أكثر فلا معنى للأصباغ أو الألقاب ، والأدب شرف لصاحبه دون أن يستند على أصباغ باهتة كالعمادة المزعومة فى عالم الأدب العربى ، ومن هنا لا يحق لأحد أن ينقل العمادة من داخل الجامعة إلى وجهة عامة ، فيقال بأن عمادة الأدب العربى هى للدكتور طه حسين مثلا أو لغيره كالعقاد والزيات وهيكل ولطفى السيد ، لأن العمادة درجة علمية تستعمل فى داخل الجامعة وليس لأحد حق استعمالها فى خارجها كما تفعل بعض الصحف والمجلات المصرية والعربية ، وقد سبق أن أثار النقاش حول هذه العمادة المرحوم زكى مبارك فى مجلة الرابطة العربية لصاحبها الصحفى المجاهد أمين سعيد ، وبعد ملاحم حامية انتصر رأيه على غيره من الآراء التى ترى ضرورة وجود عمادة فى الأدب العربى وهى مختصة بالدكتور طه حسين ، والواقع أن الحق الصائب مع

الدكتور زكى مبارك وليس مع معارضيه من دعاة الألقاب المزعومة أو الأصباغ الباهتة ، ومادامت لا توجـــد فى محيط الأدب العربى العام عمادة للأدب العربى فكذلك إمارة الشعر ، والحق أن مسألة إمارة الشعر تعتبر خرافة قديمة منذ روج لها قلم داود بركات يوم أن كان جاثما على صدر إدارة تحرير الأهرام، وهذا الصحفى كان من صنائع الشاعر المصرى أحمد شوقى ، وقد كان يمهد له بلقب أمير الشعراء مقابل استهدائه قصائده ليحلى بها صدر جريدته طلبا للرواج التجارى وتمشيا مع غريزة الاستعلاء وحب الشهرة المعروفة فى طبيعة الشاعر المصرى ولم يعرف الناس غثاثة خرافة إمارة الشعر إلا حين تهيأ لهدم هذه الخرافة الأستاذان العقاد والمازنى فى كتابهما الديوان . . وكلاهما أغرم بنقد شعر هـذا الشاعر رغم الطبول التى كان يضربها حول شوقى الصحفى داود بركات ، وفى الديوان صفحات لامعة من نقد شعر شوقى وهذا نقد مقصود به هدم إمارة الشعر ، وقـد نجحا نجاحا باهرا حيث خلقا فى عالم الشـــعر وعيا سليما هو وعى الحرية والتفكير المنظم والثقافة الحية الشاملة بالإضافة إلى إبراز الشخصية فى الشعر ذاته لأن الشعر بلا شخصية كتمثال بلا روح .

(د) ورأيى بصفة عامة فى الألقاب التقليديه كأمير الشعراء ، وأمير البيان ، وعميد الأدب وأستاذ الجيل ، أنهـا ألقاب تجارية يخلعها بعض الصحف والكتاب على كبار الأدباء والشعراء تمشيا مع

حركة الطلب والعرض فى أسواق الصحافة التجاريه وقد ثبت أن جريدتى المقطم والأهرام يملكهما تجار لهم دراية وخبرة فى ترويج صحافتهم التجارية ومن المعلوم أن معظم الألقاب الآنفة الذكر قد ولدت على صدر هاتين الجريدتين ونشأت وترعرعت بين أحضان الصحافة التجارية ، ومن هذا يتضح بأن هذه الألقاب لم تنم عن حقائق بل هى صور من الزيف وطريقة من طرق التلاعب بالألفاظ لتضليل القلوب والعقول وليس فى الأدب العربى قديمه وحديثه شعراً أو نثراً إمارة ، أو عمادة ، أو أستاذية ، وإنما توجد عبقريات ومواهب تمثل الحقائق الثابتة ، لا أصباغ وألقاب تصور الأباطيل فى أشكالها الباهتة ، وقد عرف الناس هذا القدر معرفة جيدة والاطناب فيه فضول ، والأشارة تغنى عن العبارة . .

جواب الأستاذ عبد الفتاح ابو مدين

سيدى الأستاذ عبد السلام طاهر الساسى

أشكرك شكراً عميقا من صميم قلبي ، وأكبر الظن أن هذا الشكر لايؤدى شيئا ، فأنت تستحق إعجابى وإكبارى لا لأنك قد حفلت بى ووجهت إلى أسئلتك القيمة لتستطلع رأيى المتواضع فى عملاقين من عمالقة العلم والأدب فى هذه الأيام ، وقد شغل الناس بعلمهما وأدبهما ، هذا تواضع منك ، وثقة غالية بأبناء وطنك الذى يفرض عليك الواجب أن تخدمه ، ولكنى أشكرك لأنك تواق إلى المعرفة ، مسارع إليها ، يحفزك ضمير حى إلى العلم والمعرفة ، ويدفعك إحساس مرهف إلى خدمة الأدب والأدباء . أقول هذا وأنا غير مغال أو مجامل فيما أقول . . . فأنت الذى أخرجت كتاب « الشعراء الثلاثة » وكتاب « شعراء الحجاز فى العصر الحديث » وألفت « ظلال الصراحة » ، وقد سبق أن كتبت عن هذين الكتابين الأخيرين فى صحيفة البلاد السعودية والمدينة وغيرهما وشكرت لك ما تبذله من جهد ، وما تنفقه من مال ، وما تلاقى من عناء فى سبيل نشر نتاجنا المعاصر لنا ، ونحن نعرف أن إمكانياتك لا تسمح لك بمثل هذه الأعمال المثمرة ، ولكنك طماح ، تسعى إلى الخير ، وترنو إلى التقدم ، وتريد أن تظهر أدبنا ليساير الآداب الأخرى التى تتجدد مع الأيام والتى تشرق كل يوم فى مجال النشر والذيوع .

وبعد فأنى أعود إلى الأسئلة وما تريد من أجوبة وقد قيدت بها ،ولعل غيرى قيد بها من السادة الأدباء ،قيدهم الأستاذ الساسى ولم يترك لهم حريتهم ليكتبوا ما يشاءون ،واختيار الموضوع الذى يريدون الكتابة فيه، ولعل صديقنا نفسه معذور ، وأكبر الظن أن كتابه الذى سيخرجه للناس سينطوى على هـذه الأسئلة وحدها والتى ستختلف آراء الكتاب فى الأجوبة عليها اختلافا سيكون له نصيب من الدرس والتمحيص من قبل أصحاب الرأى والمصححين الذين يتاح لهم أن يقرأوا هذا الكتاب ويحفلوا به من بعد أو من قرب .

الحياة كلها فلسفة ، وكل مفكر يكيف فلسفة الحياة برأيه ، وقد تتفق الآراء فى نقط بعينها ، وكذلك تختلف فى كثير من المعانى ، وتختلف وجهة نظر كل إنسان باختلاف الآراء وطاقة التفكير والأمزجة ومدى التأثر ونصيب كل إنسان من الثقافة والمعرفة ، واتجاه الإنسان الذى يرسمه لنفسه ، وإن صح فإننا نقيس ذلك (بالنظارة) التى يضعها الإنسان على عينيه لينظر بوساطتها من بعيد أو قريب أو بالألوان التى تتفق ومزاج المرء فهو يختار اللون الذى يحلو له أن يستعمله من الضربين ، وفى بعض الأحيان يقلد غيره تقليداً مطابقا بعض المطابقة أو المطابقة كلها ظنا منه أن صاحبه أحسن الاختيار أو أن ما اختاره غيره اتفق مع مزاجه الخاص أو سمع عنه إطراء الناس له وإجماعهم على امتياز المبتكر أو سلامة ذوق المختار ، والناس أخيار فى هذه الحياة منذ أن عرفوها وعرفتهم ، ولهذا

الاختلاف فى أكبر الظن من انتظام الحياة أو اضطرابها،وهى لا تسير على نهج واحد فيما يسر أو يسوء ، وهـذا التقلب يلائم طبيعة الإنسان ملاءمة يرضى عنها أحيانا ويسخط أحيانا أخرى ، لأنه بطبعه قلق ، وقد عرفنا أنه « لا يصبر على طعام واحد » فهو تواق إلى كل جديد وإلى كل تبديل يطرأ على حياته لا يهمه أيعجبه هذا التبديل بعد أن يعرفه ويلمسه ويحسه ويخالطه أو يحدث له قلقا واضطرابا ؟

وهـذا التقلب الذى يطرأ على حياة الإنسان فى هـذا الـكون الفسيح أظن أنه هو العامل الذى يجد فيه المـادة الغزيرة ليتفلسف وينشىء لنفسه فلسفة خاصة أو عامة يرسلهـا إلى الناس أو يحتفظ بهـا لنفسه ، ويخبرنا القرآن الـكريم بأن فى تقلب الليل والنهار عبرة لأولى الألباب ، ليتدبروا ويفكروا فى مخلوقات الله فى السماء والأرض (إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بمـا ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) .

والأستاذان طه حسين والعقاد ، قد خبرا الحياة وذاقا حلوها ومرها وعركا الدهر ، وما أظن أن هناك فرقا بين عمريهما ، وكل منهما قـد أبلى فى هذه الحياة بلاء أثر فى نفسه وفى حياته أيضا ، فالأول فقد بصره وهو طفل قبل أن يعرف من ضروب الحياة شيئا ، وهو قـد أخذ فى تحصيل العلم فى

القرية فى أول الأمر فى الصعيد ثم فى الأزهر فالجامعة ثم فى باريس ، وقد عوضه الله عن فقد بصره ذكاء حادا ، وعبقرية فذة ، وفهما سريعا أخاذا ، ونحن نلمس كل هذا فى مؤلفاته ومحاضراته التى يلقيها ارتجالا (بالطبع) وأحاديثه العامة وما يرسل للصحف من نتاج فى دأب متصل ، والتحدث عن حياة طه حفل به كثير من الكتاب فى الشرق والغرب ، الشرق الأدنى والشرق المتوسط والشرق الأقصى ، وكذلك ما وراء الغرب ، فكتاب الأمريكتين قد حفلوا بطه وحياته وهو لم يصل بعد إلى قارتهم ولم يزر بلادهم ، ولكنه يعرف عنها الكثير بما قرأ وسمع ، وتحدث الدكتور طه عن حياته الأولى فى « أيامه » ومذكراته التى تنشرها الصحف اليوم ، وهى جزء من أيامه وإن لم تنشر من قبل .

والأستاذ العقاد أحاطت به ظروف ،وسيرته صروف الأيام ، أعتقد أنه لو خير لما اختارها ، ولكن الإنسان غير مخير ، فالقدر يسيره على نهج ما قدر له ، ولعل تلك الظروف التى أحاطت به هى التى خلقت منه فيلسوفا عالما بحق ، وأذكر أننى عرفت عن حياة الأستاذ العقاد الأولى ، وهو — كما يقال — قد امتحن بأسرة كبيرة خلفها له والده وقد شغلته بالكد والعمل للإنفاق عليها وتيسير سبل الحياة لها والتفكير فى الأسباب التى تجلب الرزق لها ، وقد قست عليه الحياة ، وما أكثر ما تقسو الحياة على المخلوقات أو على أكثرها ، وهذه القسوة تترك الإنسان يضرب فى ربوع الحياة ليستطيع أن يسير فيها مجاهدا وأن يحيا فيها كإنسان له مطالب وعليه واجبات ، وما أكثر مطالب وواجبات الحياة بالنسبة لإنسان عادى فكيف

بها بالنسبة لإنسان طموح ، ونحن نعرف أن الإنسان الطموح لا يرضيه شيء ولا يقنعه شيء ، وهو بعد ذلك شديد الحرص لينال كل شيء وليعرف كل شيء ما استطاع إلى ذلك سبيلا . . .

ومن هذا نعلم أن كلا من الأستاذين الكبيرين طه والعقاد قد أبلى فى الحياة وامتحن فيها ، وقست عليه أشد ما تكون القسوة ، وكل منهما قد تفلسف فى تصويرها مما لقى ومما أحس وكون رأيه الخاص فيها بأسلوبه الخاص أيضا وكون لنفسه مذهبا فيها ، ونحن واجدون هذه الفلسفة عند الدكتور طـــه حسين فى « قادة الفكر » ، « المعذبون فى الأرض » ، « فى الأدب الجاهلى » ، « شجرة البؤس » ، « الأيام » ولا تخلو بقية كتبه الأخرى من لمحات فلسفية فى أسلوب سلس عذب مستساغ أجمل ماتكون الاستساغة كتجديد ذكرى أبى العلاء ومع أبى العلاء فى سجنه . . وأنا بعد أحب طه حسين وأنا كلف به كلفه هو بأبى العلاء ، ولكن هذا الحب وذاك الكلف به لا يمنعان أن أبدى رأيى فيه فى صراحة كل الصراحة .

أما نصيب الأستاذ العقاد من الفلسفة فغزير ، وإنا لنكاد نجد ذلك فى مقالاته التى تطفح بها الصحف بين الحين والحين ، وتكاد تكون كتبه الأخيرة فلسفية وعماية بكل معانى هاتين الكلمتين ، ويكفى أن نذكر على سبيل المثال كتبه « الله » ، « الفلسفة القرآنية » ، «عقائد المفكرين فى القرن العشرين » ، والعبقريات وغيرها ، وكذلك بعض شعره ، وشعره يعتمد على الفكر أكثر مما يعتمد على الخيال ، وقد جنح فى السنين الأخيرة

إلى العمق فى النثر خاصة ، حتى لقد قيل له ذات مرة ، بأن ما ينشره غير مفهوم أو غير واضح كل الوضوح ، فقال « أنا أكتب لطبقة خاصة من الناس » ، والأستاذ العقاد يعتد بنفسه كثيرا وإننا لنجد ذلك فى بعض مقالاته التى تنشرها له الصحف السيارة ومعاركه الأدبية بصورة عامة ، فهو ناقد جبار يتعصب لرأيه أشد التعصب ، وقد حدثنى أديب كبير فى هذه البلاد عن سؤال وجه للأستاذ العقاد حديثا عن رأيه فى شعر المرحوم أحمد شوقى ونقده الذى سبق أن قرأه الناس منذ سنين عنه ، فقال إنه لم يغير رأيه فى الشاعر وفيما كتب عنه وعن شعره من النقد . . ونحن واجدون عكس هذا الوضع عند الدكتور طه حسين فهو قد نقد المنفلوطى فى السنين المواضى ، وقد سمى ذلك النقد الآن (سخفا) وكذلك المرحوم « المازنى » فقد غير رأيه فى نقده لشاعر النيل . . وإذا استعرضنا المعارك الأدبية التى كانت تدور بين طه والعقاد نجد نقاش الأول هينا لينا حتى ليكاد يذوب من التواضع والأدب الجم والرقة ، بينما نجد الثانى يقسو ويهاجم ويهين فى قسوة وعنف لا يعرفان اللين ولا يتخللهما اللطف ، ولا الرفق فى جميع الأحوال ، وإذا وضعنا الموازين النقدية لنقيس بها الفوارق بين الشخصين فسنجد أن طه ترجح كفته فى التواضع وحسن المجادلة وسلامة النفس فى اطمئنان ويسر ، وسنجد العقد النفسية تجتاح نفسية العقاد فتخلق منه رجلا ثائرا لا يعرف إلى اللين سبيلا ، وهذه عيوب مشينة فى شخصية الأستاذ العقاد ، وأذكر على سبيل المثال وبمناسبة زيارة الدكتور طه حسين للحجاز لأول مرة فى يناير ١٩٥٥ ليرأس المؤتمر الثقافى

لجامعة الدول العربية ، وأول بادرة تزيد فى إكبارنا لهـــذا الرجل الفذ تواضعه الذى لا ينتهى إلى حـد ، وحينما تحدث فى افتتاح المؤتمر اعتبر نفسه مشاركا لا رئيسا والرئاسة هى مشاركة بمعنى ولـكن المعنى الذى يقصده الدكتور طه من باب التواضع وأنه عضو له رأى مثل بقية الأعضاء لا أكثر ولا أقل ، وقال إنه سيترك أعباء عمـله فى المؤتمر الثقافى لمن هو أقوى منه على النهوض به وسأله شاب فى نفس أوتيل قصر الـكندرة فى يوم افتتاح المؤتمر عما يكتبه (فتحى غانم) فى آخر ساعة وغيره من الـكتاب، من نقد لشيوخ الأدب فى مصر فقال وما أجمل ما قال قال : « لعل لهم الحق فيما يقولون لأننا قد كبرنا والأدب يريد الشباب » ومعذرة إن حرفت فى رسم وضع الـكلمات التى قالهـا الدكتور إذ لم يعلق بذاكرتى منهـا سوى المعنى السامى وحده ، ومهما نقبنا وفتشنا فلن نظفر بهـــذا اللطف والتواضع والسمو الخلقى عند الأستاذ العقاد ، ولعله معذور إذ كانت تعتريه أحوال لا يملـكها ولا يستطيع أن يخلص منها ولا تستطيع هى أن تتركه .

الواقع أن الأسـتاذ العقاد أكثر ميلا إلى النزعة العلميـة ، وهو أدق فى أسلوبه من الدكتور طه ، بل هو اتخذ فى أيامه الأخيرة العلم مادة له فى محاضراته « المطالعات » وهو واسع الاطلاع عميق البحث والدرس وعنده أن قراءة كتاب واحد ثلاث مرات خير من قراءة ثلاثة كتب ، وهذا القول ينبئنا عن رغبته الشديدة فى فهم ما يقرأ فهما دقيقا عميقا أشد ما يكون الفهم وأشـد ما يكون التعمق وحسبنا ذكر كتاب (الله) ، أما نصيب الدكتور طه فأعتقد أنه أقل من الأستاذ العقاد فى هذه الناحية بالذات،

وإن كان بعض الناس يخالفوننى فى هذا الرأى فهم يقولون إنهما يتساويان ويقولون كذلك إن سهولة وسلاسة أسلوب طه حسين هما اللذان يتغلبان على الروح العلمية فيه أو يظهرانها فى شكل مبسط سهل فلا يشعر القارىء الدارس أو حتى القارىء العادى بأنه يقرأ فى مادة علمية بحتة ، وإن بروز صبغة العلم فى نتاج العقاد هو من أجل اختياره للأساليب والألفاظ المعقدة الجافة ولكنى أرى أن هذه النظرية فيها كثير من الشك .

وكما يمتاز العقاد فى الناحية العلمية أو الدقة العلمية فكذلك يمتاز طه بنزعة أدبية عالية ، أكبر الظن أنه لا يلحقه فيها الأستاذ العقاد ، ومع هذا فإننا لا ننكر أن الأستاذ العقاد مجدد وصاحب مدرسة وأسلوب مستقل كطه مثلا ، ولكنه لم يبلغ درجة طه حسين فى هذا الميدان اللهم إلا فى الشعر فالعقاد شاعر ولن ننسى أن طه قد حاول نظم الشعر فى أول تعشقه للأدب واشتغاله به ، ولكنه انصرف عنه ، ولعله وجد فى إنشائه مشقة وعسرا لم يصبر على تحملهما ، ولهذا فقد انصرف إلى النثر والنثر وحده وأفنى عمره كله فى سبيله ، وإننا لا نستطيع أن نجد كتابا واحدا لطه لا يمتاز بالأدب العالى الرفيع الممتع ، فكل كتبه زاخرة بالأدب العالى الذى يخلب باالألباب ، أما أدب نفسه فهو أسمى من السمو ، والواقع أن الأدب لم يكن أداة يسيرها الإنسان ليعرفها الناس وتحبر على القراطيس لتطير بها وسائل خاصة إلى المدن والأقاليم وتتناقله أجهزة المذياع عبر الأثير ليسمعه الناس وليلهوا به بين الحين والحين وليتحدثوا عنه فى مجالسهم الخاصة والعامة مطرين أو ناقدين ومعجبين بصاحبه أو ساخطين ، وإنما الأدب

أدب النفس والروح قبل أن يكون أدبا يقرأ أو يسمع وكلما تواضعت النفس سمت فى نفوس الناس جميعا ، واطمأنت النفس المطمئنة إلى ذلك التواضع ورضيت عنه كل الرضى ، وما أجمل تواضع طه حسين ، حينما وقف فى مؤسسة الطباعة بجدة فى الحفل الخاص الذى أقيم لتكريمه قائلا : « لقد أسرف خطيبكم الكريم وأسرف شاعركم النابغة فى الثناء على شخصى وأؤكد لكم أننى حين أسمع هذا الثناء الذى أسمعه منذ أتيح لى شرف الوصول إلى هذه الأرض المقدسة يخيل إلى بل أوشك أن أقطع فيما بينى وبين نفسى بأنكم تتحدثون عن رجل لا أعرفه ، فليس فى من هذه الخصال الكريمة شىء وكم أتمنى أن يكون لى أيسرها » .

ونرى القارىء العادى بمجرد شروعه فى قراءة مقدمة كتاب واحد من كتب طه حسين يمضى متلهفا حتى يتمه ثم يتطلع إلى غيره وغيره ، وإنا لنجد القارىء العادى يجمع كتب الدكتور طه حسين ويدرسها ويفاخر بها ويعجب بمؤلفها كل الإعجاب حتى يمتلك كل حواسه وجوارحه عليه .

وإذا كان لابد من ذكر بعض مؤلفات الأديبين الكبيرين فى الأدب ، وقد قلت إن كتب طه كلها كتبت للأدب وفى الأدب نفسه ـ فلنذكر على سبيل المثال « حديث الأربعاء » ، « مع المتنبى » ، « ألوان » ، « مع أبى العلاء فى سجنه » ، « دعاء الكروان » ، « جنة الشوك » . . إلى غير ذلك من هذه الكتب القيمة .

وللأستاذ العقاد . « ساعات بين الكتب » ، «بين الكتب والناس» ، « حياة ابن الرومى من شعره » ، « مراجعات فى الآداب والفنون » ، وكما قلت آنفا فطه أطول باعا فى الأدب وأساليبه وخصائصه ومعرفة مكنوناته وتبسيطه وتفهيمه ، من الأستاذ العقاد ، ولعـــل عشاق الأستاذ العقاد ينكرون على إذا أكدت أن كبريائه يكاد يكون غرورا فهو يقـول مخاطبا أحد الصحفيين «أنا لا أعترف فى الكرة الأرضية كلها بعميد للأدب أسير تحت رايته، وأين هو الأديب الذى يمكنك أن تقول وأنت مطمئن الضمير إنه يفضلنى . لقد ألفت ستين كتابا أتحدى أى مخلوق أن يؤلف مثلها » .

وأرجو ألا يغضب أولئك وهؤلاء من هذه الصراحة فقـد وصفت ما نجد وما نلمس فى أكثر ما ينشىء الأستاذ العقاد وهو صادر عن ذات نفسـه لا يستطيع أن يغيره مغير ، ولا يستطيع أن ينكره منكر مهما قال ومهما فعل ، فهى حقائق يحسها الإنسان ويجدها واضحة بينة ، وإذا أردنا أن نقارن بين عشاق الأديبين فإننا واجدون أن عشاق طه أكثر عددا ، وأخلص جندا إن صح هذا القول ، فطه بعيد الصيت فى الشرق والغرب يحتاج إلى رأيه ويسمع لحكمه ويستقى من بيـانه وينتشى من ألفاظه ، وهو مع ذلك يعيش مع الشعب ويحس بأحاسيسه ويعبر عنه أصـدق تعبير فى أجمل أسلوب وأوضح بيان بيد أن صلة الأستاذ العقاد بالشعب غير قوية وغير متينة العرى وينقصها التجاوب من جانبه هو وحده فهو فى شبه معزل سيما فى السنين الأخيرة ، ونستطيع القول بأن طه أشبه إلى حد كبير بحافظ إبراهيم من هذه الناحية فهما يتحدثان عن الشعب بلسان الشعب ، أما العقاد

فأكبر الظن أنه يعيش مع عالم غير عالمه الطبيعى الذى يعيش فيه ، فهو يعرف عنه من طريق القراءة أكثر مما يعرف عنه من طريق الصلة المباشرة والمعرفة من قرب ، ولعل له عذراً وله عوامل إضطرارية تفرض عليه قيودا خاصة فى حياته التى اختارها أو أعطيت له .

(ثالثا) عمادة الأدب : هذا اللقب ألصقه الناس بالدكتور طه حسين، ولعله سمى بذلك لأنه كان فى يوم من الأيام عميداً لكلية الآداب ، كما يقول الأستاذ العقاد ، وطه حسين نفسه لم يفخر بهذا اللقب ولم يدعه لنفسه ، وهو غير حافل بالعمادة وغير آبه بها كذلك ، فتواضعه يخجل محدثه ، ومن حيث هو لقب فالمعتقد أنه غير صحيح ، وإلا فلماذا لم ينله فطاحل الأدب العربى فى القرون المواضى مثل الصاحب بن عباد ، وابن العميد ، وابن الزيات والجاحظ . والنويرى وغيرهم ممن رفعهم أدبهم إلى أسمى الرتب وأسمق القمم ، وأعتقد كذلك أن الألقاب الزخرفية لا قيمة لها بالنسبة لعلم الإنسان وثقافته وما يحسنه . . . فمعرفة الإنسان هى الدليل القاطع إلى الناس، وهى الحجة القوية الغير داحضة وهى ـ كما قيل ـ قيمة الإنسان ما يحسنه أو يملكه إذا نظرنا إلى حياة اليوم ولغة هذا العصر . . . أما الشهادات التى تنال من المدارس والكليات، وأما الألقاب فليست جميعها ذات بال، وهى لا تعبر عن حاملها التعبير الصحيح الذى يجب أن يصوره أصدق تصوير ، . وكذلك فإن علم الإنسان وكفاءته لا يكونان فى الشهادات أو الألقاب التى يضفيها الناس على كل من استحسنوا قوله أو جماله أو ما فيه من

محاسن استنسبوها وحلى لهم وصفها . . . وهذه الألقاب التى نجدها اليوم ما أكثرها إلا رموز جاء بعضها من الغرب وهم الذين يحتفون بها وجاء بعضها الآخر من غير الغرب ،وعمادة الأدب لاتشرف صاحبها إذا لم يكن كفؤا لها وذا علم غزير وهى بعد ذلك رمز من رموز التقدير إذا جارينا الزمان وتطوره والعصر الذى نعيش فيه ومن واجبنا أن نساير هذا وذاك لأننا نعيش فى وقت يجب أن نأخذ ما يلائم حياة وأمزجة من يعيش فيه وما يتفق والتطور الذى يغزوه بين وقت وآخر فى سرعة لاتعرف المهل ولا الأناة والعمادة رمز من الإعجاب ، وقد شغل الناس باختيار الألفاظ ليطلقوها على القادة والزعماء مكبرين لهم تارة ومعجبين بهم تارة أخرى ، وإذا أطلقنا لأنفسنا العنان والحرية فيجب أن نسيغ كل حياة نلقاها ونسير مع التطور الذى قد يكون غير معتدل فى سيره ونقبل أى لقب يطلقه الناس على من يعجبون به من رجال الفكر والقادة والزعماء والعمالقة ، امتاز فى أى نوع من الأنواع التى تحفل بها الحياة وما وراء الحياة ، إذا اتفقنا على قبول ذلك أو جارينا العصر على التحديد فنحن نقبل كلمة « عميد » من باب الافتخار والإكبار والتقدير على شريطة ألا نطلقها إلا على من يستحقها بالمعنى الذى تدل عليه لغويا والذى يصلح أن يتسم بها وتتسم به من غير خلاف ومن غير جدال . . . وإذا قبلنا كلمة عمادة أو عمادة الأدب على التحقيق واستعملناها وجاز لنا إطلاقها فأنا أقدر أن طه حسين أحق بها من العقاد ، ذلك لأن طه حسين كما قلت يتقدم العقاد فى الميدان الأدبى ، وقد أوقف حياته على الأدب الخالص وحده . . .

أما إمارة « الشعر » فخرافة لا تستند إلى حقيقة ، ولو صحت لأطلقت على امرئ القيس، وزهير بن أبى سلمى وبعض الشعراء المخضرمين،المتنبى، بشار ، أبى العلاء ، أبى تمام، ابن الرومى وأبى مسلم ، وأضرابهم من فحول الشعراء .. وإمارة الشعر نالها شوقى عرضا فى حفل أقيم فى مصر وبمناسبة من المناسبات الخاصة ، وسماه صاحب الحفل « أمير الشعراء » وتعلق بها إخواننا المصريون ، وأخذوها قضية مسلمة وحجة بأن شوقى هو الأول والآخر فى الشعر العربى حتى غالى بعضهم وألف كتابا بمثابة مقارنة وموازنة قارنه بأبى الطيب ولم يكفه هذا بل فضل شوقى على المتنبى ونجد كثيرا من الغلو عند كتاب مصر الغير متزنين والذين تغلب عليهم عصبية الحزبية ، ولكنها لا تغنى شيئا عن الحق الصراح .

والحق الذى لا مراء فيه أن طه حسين قد كتب عن المتنبى وأفرد له كتابا خاصا ، وكتب عن شوقى وقد أنصف الشاعرين إنصافا لا غلو فيه ولا ريب ، وفى عهد شوقى نفسه كان هناك شعراء أحق منه بإمارة الشعر ولو صحت فالمتنبى الصغير كما سمى (الرصافى) يمتاز عن شوقى فى كثير من المراحل وكذلك مطران ، وشوقى كان يريد أن يكون حرا كما قال عنه طه حسين وقد كان مجدداً فى أول حياته الأدبية ثم صار مقلدا ولو صحت إمارة الشعر لكان البارودى بها أحق من شوقى ، ولهذا فإمارة الشعر قول لا يمكن أن يأخذ به الشعراء فى كل مكان وزمان قد اتجه كل منهم إلى النوع والفن الذى يحسنه من فنون الشعر وأخذ نصيبه منه ، ولا يمكن أن تصح إمارة الشعر إلا إذا وجدنا شخصا يحسن جميع فنون الشعر بامتياز

لا يشاركه فى ذلك أحد ، ولكل زمان شعراؤه ومن امتاز منهم ولو صحت الإمارة لوجدنا فى كل عصر أمراء للشعر كثيرين ومن الخير أن ننقل رأى الأستاذ العقاد فى ذلك ، قال ردا على سؤال أحد الصحفيين « أنا لا أقر الزعامة فى الشعر بسبب بسيط ، وهو أن للشعر مدارس ولكل مدرسة زعيمها ... وفكرة الزعامة هذه تلاعب لفظى جاء منذ أن سمى شوقى أمير الشعراء ... أما أنا فلا أفهم معنى لهذه الزعامة ، فلو لم يكن شوقى شاعر الأمير وقتها لما سمى بأمير الشعراء ... ثم إنى لست أدرى لماذا يسمونه أمير الشعراء وهو ميت ؟ فالملوك ينتهى ملكهم بوفاتهم وعلاوة على ذلك فالأدب فروع ومدارس وفى كل فرع ومدرسة أناس ممتازون يمكن أن نسميهم ـ دون أن نعدو الواقع ـ زعماء » .

وكذلك الحال بالنسبة « لإمارة البيان » ، وإذا بحثنا جديا فإنا واجدون أن شكيب أرسلان . لاتخرج قصته عن قصة شوقى ... وإذا كان لا بد من كلمة نقولها قبل أن نختم هذه الكلمة عن الألقاب ، فهى أن كثيرا منها لا تلائم من يسمى بها، والصحافة اليوم غير مقيدة وفى كثير من الأحيان لا تجد من يحاسبها عما تقوله من كلام جزاف . فهى تتخذ من الكذب وسيلة لرواجها فى الأسواق التى تعنى بالقشور ،وهى بعد ذلك وسيلة من الوسائل التى يستغلها أفراد معدودون لحسابهم الخاص لينالوا ما يبتغون من وسائل الحياة باسم الصحافة وكثير منهم لا يعبأ بواجب رسالته فى الحياة أو الإخلاص أو ما وراء الإخلاص سعيا لتيسير الخير

للشعب والمواطنين ، ولكن ليعيش هو فقط ولا يهمه كيف يكون العيش أو السعى وراءه ، وليستعلى وليشار إليه بالبنان ويقدس ويحج إليه ، ويقام له ، ويسعى فى طلب رضائه من يسعى ، وما أكثر وسائل الخداع والسيطرة الغير مشرفة لصاحبها ، ولكن الظروف وحدها قيض لها أن تلعب دورا فى حياة بعض الناس ، فاستغلوها ولكنهم مع الأسف لا يعرفون كيف يكون الاستغلال الذى يجب ألا يخالطه حرج أو ما يغير من قيمة الإنسان الحى وتواضعه وتوازنه ألا فليتق الله من أوتى سعة من الرزق ومن أوتى نفوذاً فى هذه الحياة .

وكذلك الجهلاء ينهجون نهج بعض الصحف وهم الذين لا يقدرون الأمور فهم مدفوعون إلى مالا يعلمون ، وقول هؤلاء وأولئك غير حجة ولا يؤخذ به لأنهم غير ثقات ، ومن الخير أن نأخذ من الألقاب أيسرها وما يلائم حياتنا التى نحياها وأمزجتنا إن كان ولا بد من الأخذ بها على شريطة ألا نتجاوز الواقع والحقيقة ، وإلا عد ذلك ضربا من اللهو والعبث اللذين لا يجديان شيئا مهما كان الأمر .

وأنا أجيز كلمة أستاذ جيل فهى تلائم الواقع إلى حد كبير ، فمثلا الأستاذ العقاد والأستاذ طه حسين كل منهما له أسلوبه الخاص ، وكل منهما قد ألف كتبا قيمة جديرة بالدرس وجديرة بأن يفرغ لها الإنسان ليستمتع بما فيها ، وكل منهما له مذهب خاص وله أنصار وعشاق وأتباع ، وهؤلاء وأولئك أشبه بطلبة العلم فهم يكونون مدارس فى كثير من الأقطار

فى فترة حياة من يغشفون بأدبه . ولهذا نرى أننـا غير مخطئين إذا وصفنا العقاد وطـه حسين « بأستاذ جيل » فكل منهما قـد كون مدرسة بما كتب وبما قال مدة تتجاوز الأربعين سنة باحثا ومنشئا فى ميادين الأدب والفن والسياسـة والعلوم ، وهما جديران بأن يقال لكل منهما « أسـتاذ جيل » لأنهما قد كونا ثقافة جيل كامل، ثقافة ستبقى ذخرا بعدهما خالدا ، وهما قد خدما العلم والأدب والفن مافى ذلك شك ، سيما طه حسين الذى يرى أن حاجة الإنسان إلى العلم والمعرفة والثقافة حاجته إلى المـاء والهواء ، وهو قد أخذ على نفسه عهداً وهو أنه لن يدخر وسعا فى خدمة الثقافة والمعرفة مهما كلفه هذا العبء من مشقة ومهما كان عسيرا ، لأنه يعرف الثقافة كما قال معرفة تجعله يصورها عسيرة صعبة المنال .

وبعد . . فالأستاذان خالدان سواء كره الناس ذلك أم رضوا .

عبد الفتاح ابو مدين

جواب الأستاذ محمد أمين يحيى

حضرة الأديب الفاضل الأخ الأستاذ عبد السلام الساسى الموقر

تحية وتكريماً .

يسرني أن أقدم لحضرتكم مع هذا الإجابة المطلوبة عن الأسئلة التي جاءت ضمن خطابكم المؤرخ في ٩/ ٧ /٧٤هـ . ولقد حرصت على أن أسارع في الرد وأن يكون ذلك الرد مسهبا ولكن ظروف العمل ومشاغل الحياة أجبرتني على الاقتضاب والتأخير بعض الوقت ولعل حضرتكم تلتمسون لي العذر في ذلك . وإنني بعد لممتن لهذه الثقة شاكر لكم تقديركم مكبر فيكم هذه الروح الأدبية العلمية مقدر لكم هذه المساعي التي تبذلونها لخدمة الأدب ونشره وفقكم الله وكلل أعمالكم بالنجاح .

وتقبلو مع مودتي أعطر تحياتي ،،

المخلص

محمد أمين يحيى

(١) كلا الأستاذين الكبيرين العقاد وطه له نصيب وافر من فلسفة الحياة غير أن العقاد أكثر فلسفة وأوسع أفقاً فى الآراء الفلسفية ودقتها ويظهر ذلك واضحا فى كتبه «ساعات بين الكتب» و «مطالعات فى الكتب والحياة» و «سارة» القصة الفلسفية المشهورة. وليس معنى هذا أن الدكتور طه بعيد عن الفلسفة ولكنه لا يحب التعمق فيها وإنك تجده يتبسط فى كل مما يكتب إلا فى بعض كتاباته فهو يميل إلى الفلسفة ويسترسل فيها. ولا يستطيع أحد أن يفاضل بين الاثنين فكل منهما فذ له طريقته ومدرسته وأسلوبه وكل منهما عبقرى يستحق التخليد ولكل منهما مذهبه الأدبى الخاص.

(٢) المادة العلمية القوية والميل إلى التحقيق العلمى والنزعة العلمية والدقة فى المسائل العلمية كل ذلك يتوفر فى الأستاذ العقاد كما قرأناه فى كتبه الكثيرة وأبحاثه القيمة ونكتفى بكتاب أو اثنين هما «ساعات بين الكتب» و «مطالعات فى الكتب والحياة». وأرجو أن يرجع من شاء إليهما ففيهما الدليل الواضح والحجة البالغة والعقاد كذلك قاموس فى اللغة العربية ومن فحول علمائها.

أما الدكتور طه حسين فهو حجة فى اللغة العربية وإمام فى البلاغة والأسلوب والفصاحة وهو فريد فى التلاعب بالألفاظ والمقدرة على إلباس المعانى ما يحلو له من روائع الجمل كأنما نقرأ له شعراً منثورا وهذه ميزة نادرة قل أن تتاح لكل أديب وتظهر جلية فى جميع مؤلفاته العديدة ولعل الناس الذين قرأوا لطه يعرفون له فضله العظيم على اللغة والأدب

وخدماته للعلم تلك الخدمات الجليلة المشهورة . وللدكتور طريقته المعروفة عنه وهى التبسط مع الجزالة والإيضاح فنى ميسور كل قارىء أن يفهم ما يكتبه وهذه ميزة لا تتوفر للكثيرين .

(٣) رأينا فى عمادة الأدب العربى أنها خيال لا حقيقة وهى فى الواقع شىء لا يشرف الأديب ولا يستحق أن يتشبث به الناس أو يعتز به الأديب وكذلك الرأى فى إمارة الشعر فنحن لا نعترف بالعمادة فى الأدب والإمارة فى الشعر ولعل سائلا يسأل وكيف حاز شوقى لقب الإمارة وحاز الدكتور لقب العمادة ؟ والجواب أن قصه شوقى معروفة فقد كان شاعر الأمير وأراد الذين يريدون التقرب أن يداهنوه ليرضى عنهم الأمير فنادوا به أميراً للشعراء وما هو بذاك ولا يوجد ولم يوجد شاعر تجتمع له كل خصائص الشعر ويستطيع أن ينظم فى كل غرض من أغراض الحياة حتى يمكن أن يستحق الإمارة فإذا أوجدتم لنا هذا الشاعر سلمناه الإمارة وبايعناه عليها .

أما قصة العمادة فقد كان الدكتور طه حسين ـ كما هو المعروف ـ عميدا لكلية الآداب فظن بعض الناس أنه عميد الأدب وأطلق عليه بعضهم فعلا « عميد الأدب » ثم علق به ولو سألناه هو نفسه لأنكر هذا الذى يسمع فهو يعرف عن نفسه أنه لا يستحق هو أو سواه هذا اللقب لأن أحداً لا يستطيع أن يختص فى جميع فنون الأدب وأغراضه كما سبق أن قلنا عن الشعر . ولذلك فلا يستحق العمادة أحد لن يستحقها أحد .

(٤) أن رأينا عن الألقاب التى يخلعها بعض الناس وتخلعها بعض الصحف قد أصبح واضحا فى جوابنا على سؤالكم الثالث ونؤكد لكم أن الغرض من منح هذه الألقاب هو الدعاية أو إرضاء الكاتب أو الشاعر وتملقه ولو كانت الألقاب تباع بثمن غال لما رأيت أحداً يرضى بأن يمنح أى إنسان لقبا مهما كانت مكانته ولكنها تمنح مجانا ولذلك أصبحت تنفق بلا حساب .

محمد أمين يحى

جواب الأستاذ محمد سعيد العامودي

(١)

س — ما نصيب كل من العقاد وطه حسين فى فلسفة الحياة التى هى أساس كبير من أسس الأدب ؟ وفى أى مؤلف من مؤلفات الأديبين الكبيرين نجد هذه الفلسفة واضحة ومركزة ؟

ج — لم يتضح لى تماما القصد من هـذا السؤال ... وما معنى نصيب كل منهما فى فلسفة الحياة ، أرجو التوضيح إن أمكن !

(٢)

س — أى هـذين الأديبين أميل إلى الدقة العلمية والتحقيق العلمى والنزعة العلمية بوجه عام ؟ وأيهما أميل إلى النزعة الأدبية المحضة بما فيها من فضائل واختصاصات ؟ وما هو الدليل على ذلك من كتب الأستاذين الكبيرين أيضا ومن غير كتبهما ؟

ج — كل منهما فارس فى الميدانين . . . على أن كليهما تغلب عليهما النزعة الأدبية . فإن كان لابد من أن نضع النقط على الحروف ـ كما يقولون ـ فلا ريب أن العقاد . ولا سيما فى السنوات الأخيرة . أقرب إلى النزعة العلمية .

ودليلى هو كتب الأديبين الكبيرين إجمالا دون أى حاجة إلى التعيين ،

(٣)

س — ما رأيكم فى عمادة الأدب العربى ؟ أهى حقيقة أم خيال ؟ وهل هى شىء يشرف الأديب ويستحق أن يتشبث به الناس ؟ يستتبع ذلك رغبتى فى عرض رأيكم عن إمارة الشعر ، وإذا كانت العمادة حقيقة فمن أحق بها من هذين الأديبين الكبيرين ؟

ج — الذى أعرفه أن (عمادة الأدب) لم ينلها طه حسين عن طريق الأدب . . . وإنما نالها عن طريق تعيينه عميداً لكلية الآداب بالجامعة المصرية . ويبدو لى أنه لا توجد (عمادة أدبية) بالمعنى الذى يوحيه هذا السؤال !

أما عن « إمارة الشعر » فليس خافيا أن شوقى — وهو الوحيد الذى كان يلقب بأمير الشعراء — إنما وصل إليه هذا عن طريق إحدى الصحف الكبرى فى مصر ، ولعلها جريدة الأهرام . . وطبيعى أنها كانت فى بادئ الأمر محض مجاملة وتحية من تلك الصحيفة لشاعر مصرى كبير . . فما هو إلا أن تابعتها فى ذلك بقية الصحف، وأصبح هذا اللقب ملازما لشوقى، دون أن يفكر أى أحد فى ذلك الوقت أن هذا اللقب سيصبح تقليدياً . . . وأنه لا بد من أن تكون له صفة الديمومة . . . والانتقال من شاعر إلى شاعر !

فعلى هذا أرجو أن يوافقنى الأديب الفاضل صاحب هذا الاستفتاء على أن « إمارة الشعر » هذه . . غير ذات موضوع !

(٤)

س — ما هو رأيكم بصفة عامة عن الألقاب التقليدية التى يخلعها بعض الصحف وبعض الكتاب على بعض أعلام الأدب مثل ألقاب أمير الشعراء ـ أمير البيان ـ وعميد الأدب ـ وأستاذ الجيل ـ وغيرها ؟

ج — لا عليك يا أخى من هذه الألقاب التقليدية ـ كما وصفتها أنت ـ إنها مجاملات ، وتحيات طيبات لا بد منها ، ولا ضير منها وبالأخص فى ميدان صاحبة الجلالة ! ؟

محمد سعيد العامودى

جواب الأستاذ أحمد محمد جمال [1]

لكل من العقاد وطه حسين فى التفكير وفى التعبير أسلوبه الممتاز ، ولكل منهما أنصار وتلاميذ . والعقاد لا يغنى عن طه حسين ، وطه حسين لا يغنى عن العقاد . وإن كان لابد من كلمه تفضيل وتقديم ، فالعقاد - فى رأيى - هو كاتب الشرق العربى الأكبر . فهو يجمع إلى اتقانه صناعة الأدب ، إحسانه تناول المذاهب والمعتقدات والأفكار العلمية ، والدينية ، والسياسية ،والاقتصادية تناول العالم المفكر البصير والإدلاء فيها بأخصب الآراء ، والموازنة بينها بأحسن ميزان .

وفى رأيى أيضا أن العقاد هو عميد الأدب العربى الحقيق ... أما ما تعارف عليه الأدباء والمتأدبون من إطلاق بعض الألقاب الأدبية على بعض كبار الأدباء ، فهو من باب التأثر والإعجاب بهؤلاء ... ولا ضير فيه إلا أن يكون منه مبالغة ومغالاة . . .

أحمد محمد جمال

---

(١) كنا نود أن يسهب الأستاذ أحمد جمال ويتبسط فى الحديث كعادته فى مثل هذه المواقف الأدبية ، ولكن يبدو أن ظروف أعماله الرسمية الأخيرة حالت دون ما نتمناه ونصبو إليه ؟

مساجلات الشعراء

نقدم فى هـذه الحلقة بعض المساجلات الشعرية لبعض شعرائنا المبرزين وهم :

العواد ـ الغزاوى ـ السرحان ـ حمزة شحاتة ـ حسين عرب .

من العواد إلى الغزاوى :

أيها البلبل المغرد بالشعر ألا أين ذلك التغريد ؟

لم آثرت تنزوى الشهر تلو الشهر مستعصيا عليك القصيد

(أدلالا هجرته أم ملالا) أم أتاه منك القلى والصدود

لا تغادر فن النظيم يعانى منك ما لا يطيقه المعمود

فلقد كنت والنظيم شقيقـين وسيان منشد ونشيد

ومن الغزاوى إلى العواد :

أبهذا الذى تواضع شكرا إنما أنت فى البيان المجيد

كيف لا أوثر السكوت وأصغى لشعور يصوغه التجديد

أنا ما قلته تطالع ضعفا والذى حكته الضليع الشديد

وتعالى جد الآله فما ذا بعد فرقانه يحيط النشيد

مازج الروح وحيه فهو حى وهو الرشد والهدى والخلود

س السرحان إلى القنديل :

قوت الروح .. !!

[إن فى دى شيئا يأ كانى ويوحى إلى بالتحرش بأصدقائى الشعراء وهـذه مهداة إلى صديقى الأستاذ أحمد قنديل على الأقل شكراً صادقا على مغادرتى له فى شئون الحج منذ أكثر من عامين إلى حيث أعمل الآن]

أقتات من روحى وأشرب من دمى ... إن كنت عالمـة وإن لم تعلمى
حتى إذا حم الردى لاقيتـه ... غرداً كمثل الطـائر المترنم
إنى أحييـه وأشكـر منـه ... جذلان . شكران الوفى المنعم
وأهيم بالقمرين مالم يأفـلا ... فإذا هما أفلا .. غنيت بأنجم !
وإذا تخونت النجوم كآبة ... اعتقت فوق سراة ليل أدهم
إنى كذاك، وفوق ذاك .. منزه ... سمعى إذا ماج لوم اللوم
الله سـوانى قليـل لبانة ... جوال أفـكار . عجيب توهم
يغنى حشاى عن الموائد مسكة ... ومن الشراب مجاج ماء فى فمى
وأظل أدلج بالخيـال ولا أنى ... خبباً إذا ما طال نوم النـوم
وإذا نعيت تأخرى : . فلأننى ... مستنكف عن حيلة المتقدم ! .

✿✿✿✿

يا بنت ذى سيارة حسـانة ... تنساب فى الترب انسياب الأرقم
لا تعتبى فى القول . . إنى فاهم ... من غمرة الأحداث مالم تفهمى

ما هذه الدنيا . . وما غاياتها ؟ ومن الذى تكويه كى الميسم ؟
المال ؟ أهون ما يكون طلابه إن كنت أعبده عبادة درهم !
ألجاه ؟ أيسر ما يكون مناله لتقبيل غنم أو لخفة مغرم ! .
ماذا وراء حياتنا . . . تباً لها إن لم تنم بجنة وجهنم ؟ !

☆☆☆☆

قد كنت أعشق .. غير أن لياليا أمسى على شهادها كالعلقم
قضيت لا حباً ولا كرهاً ولا وسطا ، ولم أندم لساعة مندم !
أصبحت فرداً .. والحياة جماعة فاذا استبدت .. فالحياة كتوأم
إنى أشذ .. ولا أشذ .. وليتنى أفنى فعيشى بعد ذلك واسلمى !

من السرحان إلى حمزة شحاتة :

سرب ... !

[تحية للأستاذ الصديق حمزة شحاتة (بدلا عن ضائع) من لقائه وحاشية صغيرة على المتون العظيمة التى خلقها لنا شعراء العرب فى الحب والغزل]

أنس وربك قـد ملأن شغافا حباً وهجن بك الهوى الرجافا
هاتيك أم هاتيك ؟ كل خريدة هيفاء زانت ثوبها الهفهافا
علقت بهن العين ذات عشية فجبونها الإتحاف والألطافا
يخطرن فى بسط النسيم وقد رأى ما فيه فاستشفى بهن وشافى
الحسن زخرف كل طرف رامق والطيب فوف نشره الآنافا
حلقن فى حلل النعيم سواميا وأسف طرفك فى الثرى إسفافا
أتروم أحلاما يعز منالها ؟ لو قد أطلت السعى والإيجافا
أنأى من (الشعرى العبور) محلة وأدق منها فى الفضاء مطافا
ما بال قلبك قد ألح تدلها وشؤون دمعك ما ونت إذرافا ؟
أطياف ليلك قد شطط عن المدى لو كنت تمسك فى الكرى أطيافا

****

ما لمت أهل الحب حين تمزقوا فى الحب أسلافا ولا أخلافا

هم بالرثاء أحق . . . فى أحشائهم حزم ، جنـــوبهم به تتجافى
وإذا يقال أتاك (قلب عاشق) فقل: الردى أوفى به أو .. وافى

****

هل فى الهوى قاض ليمنح مرة من بعد شـدة عسفه انصافا ؟
يا قاضى العشاق حسبك لا تجر إنى إذن .(استأنف استئنافا) !!

من حمزة شحاتة إلى السرحان . . .

أصـــــــداف . . !

دعابة مهداة إلى الشاعر الصديق حسين سرحان
تحيـــة لتحيته الكريمة

أفبعد ما سنح الخيال ووافى ودعن سرحك وانطلق خفافا ؟
وعدت سوابق ودهن ذواهبا بالبرء ، ليس وراءهن معافى ،
من كل نافرة الهوى لم تقضها حقاً ، فكيف تميلها استعطافا ؟
سمعتك تهضب بالقريض فشاقها الإيطاء ! حين تخيلته زحافا !
فمضت بما ظنته فيك مشوقة ومضيت تضمر للمراد خلافا !
أفذاك همك بالحسان زعمته جنفا طلبت لدفعه الإنصافا ؟
فإليكهن نوافراً . . دعاءة . . نظراتهن . . تطرحت إلحافا !
وإليكهن هوى تجسد صورة . . فيما بدا منهن . . لا أوصافا !
مادونهن سوى الستور ، وقدوهت وتعلقت بالعابرين هتـــافا !
فاعزم على ميسور أمرك واعتصر مما حبتك كرومهن . . سلافا !
فالعيش عيش العازمين ، وما أرى لك ـ ما أمنت العجز ـ أن تتجافى !
روى الحيا عهداً عرفنا أهله أحمى على غمز الهوى آنافا !!
وغداً برحمـــة ربه متطلب وصل الحسان ، رأى الحسان خفافا

يا أنت ! . . إن فتاك أهبة حالم ... هاب العيان فصاول الأطيافا !
فتقبليه على الجنوح كريمة . . ... رضيت بما حصد القريض كفافا
فلقد تبلغك القناعة غاية ... فاض الخيال بمثلها استخفافا
والصبر أعون منهجيك على السرى ... وأرق فى عميائه أسدافا

يا أنت .. لا يحزنك أنك زورق ... لم يلق فى عرض المحيط مطافا
ملاحه أشفى ، لدفته هوت ، ... فطوى الشراع ، وأسلم المجدافا
هى تلك أسباب الهوى ، وشباكه ... شعر أطاف بقائليه . . فطافا !
ولربما أجدى الكلام ، وإن تكن ... منح الحياة مطالباً تتكافا
فزنى بميزان « العروض ! » رؤى الهوى
ومصيره ، وعبابه الرجافا !
وهى بما تعطين ، قصداً يرتضى ... ويطاق لا بخلا ولا إسرافا

يا أنت !. ما كل الغيوم تحملت ... مطراً .. فشيمى العارض الوكافا
فعساك لاقية سوانح فيضا ... إن لم تصبك أدرها أخلافا
صرنا إلى زمن ينازع قاعد ... فيه الفخار ، الراحل الطوافا
ليت الذى خلق المطامع كالها ... للحالمين ـ كما تراد ـ جزافا
أو ليت ملتمس السلامة نالها ... عرضاً كما تجنى الزهور قطافا

يا للعقول من السنين تساوقت ... سوداً ، مثقلة الظهور ، عجافا
حسن الحسان بهن وعد ـ يرتجى ـ ... بخلائق ، تتعجل الإخلافا

الداعيات إلى الحفاظ وليته　　منهن كان وفاً لنا وعفافا
الشائبات وصالهن لمن وفى ..　　وحمى .. وشد بناءهن ، زعافا
الذارفات الدمع حيث أردنه　　سحراً يرد الأقوياء ضعافا . .
المولعات بكل لحظ جارم ..　　لم ينتفضن لوقعه استنكافا
التاركات حمى الكرامة نهبة　　للشك زلزل صرحه إرجافا
بواهاً لأفئدة هناك خضيبة　　عاشت لهن على الأسى أهدافا

قل للذى امتلأت رؤاه لآلئا　　ألقت عليه شعاعها الرفافا :
صارعت أعماق البحار فلم أجد　　ورؤاك ! ! إلا هذه الأصدافا !
وذهبت أفتقد العيون فلا أرى　　فيهن ذاك العالم الشفافا

إنى لأستعدى الزمان على الهوى　　فأراه أضيق بالمنى أكنافا

******

من حسين عرب ... إلى حمزة شحاتة

أعـــــراف ...

[.. وتحية أخرى للأستاذ حمزة شحاتة ، مع الاحتفاظ بحقوق القافية للصديق الأستاذ حسين سرحان]

تركتك ـ مسلوب الفؤاد ـ مجافي   مضنى الهوى ؛ تتعجل الإنصافا
هيفاء ، ذابلة العيون ، كأنما   تسقيك من نظراتهن ، سلافا
لاحت لعينيك ـ العشية ـ فانطوى   فيها خيالك ، هائماً رفافا
فدلفت ، في أعقابها متهالكا   حتى صفرت ، مجوباً دلافا

يا ذاك ، ويحك قد أضر تك النوى   قذفاً ، وأعيتك الدروب مطافا
واها لعمرك ، قد تصرم في الرؤى   خداعة ؛ تترى عليك جزافا
أشأمت في أقصى الشمال وأيمنت   ليلاك ، حتى اجتازت الأحقافا
معدى السحاب الجون منك منالها   سبق المدى ، وتسنم الأعرافا

وعدتك لا تجفو ، وكان وصالها   وهما ، يزيد بقلبك الإيجافا
والغانيات ؛ وعودهن خديعة ؛   تبدى الوفاء ؛ وتضمر الأخلافا
هن الرزان إذا خطون على الثرى   فإذا أسرن القلب ، طرن خفافا

من كل ساحبة الذيول، تخالها غصنا، يشوق عبيره الآنافا
فيهن، ما فى الروض من ألطافه ويزدن عنه، من الهوى، ألطافا
يسلبن ألباب الشباب مجانة ويهبن أسباب الجوى إسرفا

****

يا أخت من تخذ السماء، مهاده فرنت كواكبها له، استعطافا
ورمى الدجنة، بالشعاع مرقرقا يزكى الحقول، ويلثم الأكنافا
عيناك، شابهما الهوى، فأفاضتا منه الشجون، مريشة وزعافا
أصميت -حين رميت قرما شاعراً وأصبت، أحشاء به وشغافا
ألفيته صيداً، بلا هدف فلم ترعي وكان الصائد الهدافا
يتلاحق الشعراء، فى آثاره بهراً، ولا يدنون منه كفافا
صاغ القوافى -فى هواك- خرائداً كالروض، رق شذى وطاب قطافا
سحر، تنافست الحروف، رشاقة فيه، فنظمت النهى أفوافا
من كل قافية، كأن رويها حبب السلافة داعب الأعطافا
تختال منها (الضاد) فى أبرادها تيها، وتجلو (الفاء) فيها (القافا)

****

أفذاك خدنك، أم مدل جارما بالمال يبذله لك، استخفافا
يتصيد الآمال، غير منزه قلبا، وغير مبرأ -أطرافا
يلهو بها، زمنا فإن هى أفلتت لسواه، كان الناعب الهتافا
جمع النضار من الصغار، ولم يطق -فيما يحاول حرمة وعفافا

****

يا مسرح الآمال ، يركب بعضها بعضا تقحمت السرى ، إعناقا
لهفى عليك ، من الجهول معرداً أعيا العقول ، جهالة وخلافا
متصنع ، أبدى الهداية دعوة لهواه ، واحتقب الردى أصنافا
فانحر بها البيداء ، لا متكلفا شططا ، ولا متعينا أهدافا
فلقد تشوقك فى المناهج ظالمة ، كانت ، أبر من السنا أسدافا
والحسن أجمل فى النفوس طبيعة لا فى الحسان ، تجملت أوصافا
ولرب وجه ، يستبيك رواؤه .. جعل الرواء ـ لما يجن ـ سجافا

✲✲ ✲✲

قل للذى جعل الغرام ، وسيلة يجنى بها ، الإسفاف والإرجافا
إنا تركناه ـ لمثلك ـ حيلة تشقيه لا عجزا ولا استنكافا
عاشت أمانينا ، تفيض قناعة بالنزر ، لم تعجل إليه طوافا
وإذا الأمور ، تعوجت أسبابها فالخير ؛ كل الخير ، أن تتجافى
إن العيون ، إذا تضاءل نورها رأت اللآلىء ـ فى الضحى ـ أصدافا

نأسف لعدم عثورنا على جواب الأستاذ حمزة شحاتة على هـذه القصيدة الخالدة التى جادت بها قريحة شاعرنا الكبير الأستاذ حسين عرب .

مختارات شعرية

سرحان ـ عواد ـ شحاته ـ قنديل

من شعر الشاعر الكبير الأستاذ حسين سرحان :

الدودة الأخيرة

ازدحم الدود على جثة أضفى عليها نسج أخراسها
حالة نعمى أذهبت طيبها واستنفذت آخر أنفاسها

****

كم قلبت فوق فراش وثير وكم تروت من معين السرور
واستخدمت فى عيشها زمرة كبيرها يهرع قبل الصغير

****

الأمر أمر نافذ حكمه والنهى نهى بالغ شأنه
حازت من الدنيا جميع المنى فأين « هارون » وسلطانه ؟

****

هذى الملايين بلا حساب من ذلك الدود الكثير الكثير
امتارها مائدة دسمة وبات يرعى فى حماها النضير

****

لو شامها فى قـــبرها شائم لارتجفت للهـــول أعصابه
منظر قبح بعـد حسن ، فما لذة عيش تلك أعقـــابه ؟

****

أمسى يغنى الدود فى روضـة ما أخرجت أحسن منها السماء
أغصـــانها أثمـارها نورها يقطف من ألوانهـا ما يشاء

****

قـد استوى المـأمور والآمر فيها ، وأضحى العبد كالسيد
أنا لو شئت لحـاربت الهموم الهموم الغـاديات الرائحـات

****

تلك قامت بعد أخرى قد مضت وعنـاء مرمض بعـــد عناء
أنا لو شئت . . .

ثم لو شئت لـكنت القانعـا بالذى ألقاه فى غير امتعاض
أقبـــل العيش على عـلاته بين لونى كـدر بعد صـــفاء
أنا لو شئت . . .

وإذا شئت فهـــل فى طاقتى أن أرد الأمر أو أنفى الضياء ؟
ليس لى حـــكم ولا لى حيـلة أدجى العمر ظلاما أم أضاء ؟
أنا لو شئت . . . فهل لى أن أشاء ؟

ومن قصيدة له :

في جوف قلبي طلل دارس عفا عليه الدهر حتى محاه
يعج بالآمال حتى هوى في ذكريات كان فيها رداه
آثار حب ومغاني صبا أيام كان العمر حلوا جناه
كم حل فيها من حبيب مضى طواه في ربع البلى ما طواه

مختارات من شعر الشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن عواد

من قصيدة بعنوان سر الطبيعة

لم هــذى الرياح تدوى شمالا وجنوباً تفــرق الأمطارا ؟
لم هـذا البحر فى هدوء إذا شا ء ، وإن شاء أرسل التيارا ؟

إلى أن يقول :

لم نحيا على البسـيطة جبراً ونعيش السنين فيها حيارى ؟
أترى الفلسفات والدين والعلـم أقامت للسالكين المنارا ؟
هـل أفاقت عقولنا من سبات هل شققنا من حيرة أستارا ؟
وتدور الحياة والشمس والأقمـار والليـل والنهار بدارا .

ومن قصيدة له :

حاربوا الظلم ، حاربوا الجهل ، ألغو كل خوف أو ذلة فى الطبـاع
حاربوا الفقـر ما اسـتطعتم فنى الفقر التياع وبئس مرأى التياع
حاربوا الكبر فى النفوس فنى الكبر امتناع من الهدى لامتناع
حاربوا الضعف ، والرياء ، وتدليس القضـايا وزائف الأوضـاع
وأنشروا العدل ، والمساواة بين الناس واستبعـدوا سـبيل النزاع
إنما الناس كالصـلال إذا ذلوا وإن أكرموا فمـثل السباع
ومن الخير بل من الواجب المفروض رعى النـائين والأشـياع

وله من قصيدة بعنوان الساحر العظيم

ما أرى الشـــعر والحقائق ضد　　ين فكيف اطراحها فى حدائه ؟
ليس حتما أن يحشر العلم فى الشعـ　　ـر كما قيـــل أو يرى بحذائه
إنما الحتم أن يجانب ماعد　　خرافات وهمــه وهبائه

ثم يقول :

شاعر النور ، شاعر السحر حقا　　شاعر الليـــل فجره وسنائه
ذلك الساحر العظيم المؤدى　　قدرة الفن فى أجل روائه
إنه شـاعر الحياة بمـا فيها　　برغم السخيف أو أدعيائه

إلى أن يقول :

بلبل أنت فى حديقة هذا الفن　　تزجى الألحان فنــاً عميقا
أنت لحن السماء للأرض تهدى　　للمجدين فى الحيـاة طريقا

مختارات من شعر الشاعر الكبير الأستاذ حمزة شحاتة :

ماذا تقول شجرة لأختها ؟

أكذا نحن ـ حيث نحن ـ مقيمان على الخسف ليس نرجو فكاكا ؟
كاسيرين لا نريم ، ولا نملك سعياً ، والكون فاض حراكا
ترسل الشمس حرها فوق رأسينا سياطاً والريح طعناً دراكا
وتعيث الطيور ، فينا على ضعف قواها ـ ضراوة وانتهاكا
لا الأديم المبسوط فيه لنا فسحة خطو ولا بلغنا السماكا
وأرانا ـ وعمرنا نهبة العجز ـ سنقضى كما حيينا ركاكا
أفهذا ، لأننا ننكر العيش غلابا ، ونجتويه حراكا

لم يا أخت نؤثر الصبر ، والصبر ـ على ما ترين ـ قيد المساعى ؟
ما لنا من ثمارنا ـ وهى من صنع قوانا ـ إلا نصيب الجياع
ما أرانا للحارثين سوى نهب ، وللآكلين غير متاع
فتعالى نداو با لقول قلبينا ونعزم به على الأسماع . . . .
علنا بالغان بالقول ما لم يبلغ الصمت فى مجال الصراع . . . .
رب قول هز العزائم او أحيا الأمانى ، أو استحث الدواعى
بل دعينا نثر على تربة الضيم فإن الحياة فوق التلاع

أى عيش هـذا الذى نحن صالوه هوانا وفاقـة وشـــنارا ؟
أخرست فيـه دعوة الحق والعزفعادا ضراعـة وصـغارا !
وغـدا راجح النهى فيـه منقوصاً وحر الضمير يـكدى عثارا
قـد ظمئنا والمـاء ملء السواقى ، واهتدى غيرنا وعشنا حيارى
أفـلا تحزنـين للشجر الباذخ جفت جـــذوره فانهـارا ؟
وى ، كأن القلوب فى محبس الضيم حيارى ، وكم نظـل أسارى ؟
فلنثر ، ولنمت ، أكرم الموت مصـيرا ، إن لم نعش أحرارا

أفلا تحزنين للواقـع البخس ألفنـاه ذلة وخمولا ؟ ؟ . .
أفـلا تحزنين للنور للفرحـة تغشى الـكيان عرضاً وطولا ؟ ؟
ولنهر الحياة أضفى على شطيـه ضوء الجمـال . . . ذليلا ؟
ولهـذا اللألاء فاض على الدنيا وأحيائهـا ســـنى مـطلولا
ولحـرية النفوس خيالا ، وانطـلاقا ، ومأمـــلا ، وقبـولا
ما نصيبي ، وما نصيبك من ذاك ؟ أليس الحرمان والتعليلا ؟
فانفضى عنك غمرة الحزن ، والخـوف ، وشقى للناعسين السبيلا

مالنا أوهن الخنـوع قـوانا ، فغـــدونا مطاحين رزاحا
أو لسنا سـلالة الشجر الشامخ ، أصـــلا وعزة وطماحا ؟
والعـديد الذى يضيق به الغاب ، أليس النخيل والأدواحا ؟
أفلسنا به . وبالقمر اليـائس أقوى بأساً ، وأمضى سـلاحا ؟

إيه أختاه برح الصبر بالعانين سالت به القلوب جراحا ؟
ما أرانا فى قلة فاطلق الصرخة فى الغاب تلهى الأرواحا
قد كرهنا الحياة أسراً وصبراً ، فلنرمها حرية وكفاحا

آن يا أخت أن نثور فقد عشنا طويلا على الرجاء المضاع
نتأسى باسم العدالة والرحمة حلمين فى ظلام الخداع
إن حق البقاء للحى يا أختاه وهن للواهن المتداعى
وسبيل الحياة منذ كانت الدنيا وأحياؤها سبيل الصراع
لا تقولى : مانحن فى كفة الحرب فما ضاقت الحياة بساعى
نحن بالحق والعزيمة والإيمان ، فى خير أهبة واضطلاع
فهلمى بنا إلى ساحة الموت نزلزل بها قوى الإطماع

مالنا والحياة فى الأسر لا الغاية نلنا ولا حمينا الذمارا
قد يئسنا واليأس أمضى سلاح ما أرى بعده لحى خيارا
فاتركى الناعمين فى برزخ العيش يرودوا من الهوان القرارا
واتبعينى لنبعث الحرب شعواء تدك النجود والأغوارا
ولنحرر بها العزائم والأفكار ولنجعل الفناء شعارا
إيه أختاه مم تخشين والدرب مهاد والظالمون سكارى
فلنثر إن فى السماء على الحق غيوراً يبارك الثوارا

ما أرى الكون منذ كنا سوى سجن كبير أعد للضعفاء
يشرع القادرون فيه القوانين قيوداً للرق والإفناء
فإذا أن مثقل قيد قد ثار وجنة شريعة الأقوياء
إيه أختاه فلنثر ولنحطم كل قيد ولنستبق للفداء
ليس فى سنة الطبيعة أن يحرز حقاً إلا دم الشهداء
وهبينا متنا ولم نبلغ القصد أليست حياتنا كالفناء ؟
قد فقدنا يا أخت فى الأرض عدلا فدعينا نلذ بعدل السماء

رجع الصدى

لله كم تخفى المـــلابس ما فى الضمائر من خسائس
الحى صـــائد خلســـة سيان مفـتر ، وعابس
يا مـــدعى حب الحسان ولست بالرجـــل المؤانس
إن عـد غيرك فى البغـا ث فأنت من سقط الخنافس
لولا ثراؤك لم تجـــد لك خـــلة بـين الأوانس
أترى الذى اغتـال الـفرا ئس راعه دمع الفرائس ؟
تعـــس الغـنى بألفـــه يشتار من دم ألف بائس
ما للذى استصـــفى الغنيمـــة لايعف عن النفائس
لم يبـق من ماضى المرو ءة غـــير أطلال دوارس
قـــد وثق الجشع الأثيـــم علاقـة بـــين الفوارس
قلـــنا : تضـافرت القـلو ب فهالنـا موج الدسـائس
وارحمـــة للناعمـــــين أمضـــهم لـين الطنـافس
ماذا وراء الأفـــق يادنيـا فإن الليـــل . . . . دامس
ذكروا العـــدالة لاهجـين على المنـابر فى المجـالس
أمن العـــــدالة أن ترى فى ألف عار فـرد لا بس ؟
أطلقت آمـــــالى فعدن إلى — بعـدونى — خوانس

عالى وللقصر المشيد … يصدنى سور وحارس
قالوا استراح أبو فلان … قلت : من أمل العوانس
وأجد لى قوت الحرام … قناعة تئد الوساوس
صاح البشير : رأيت نور … الفجر يخترق الحنادس
فتواثب المتربصون … وأحكموا وضع القلانس
وأدرت من ثوبى على … وقلت : إن البرد قارس
ألزمت نفسى بالكمال فكا … ن وهماً . . . . ما أمارس
كم راعنى فيما أرى … شبه المساجد بالكنائس
نادى الفقيه : أليس فى … شرف الإمامة من منافس
فأجابه رجع الصدى … خمدت برهطك نار فارس
ما ثم بين بنى أبيك … لشرعة الثوار دارس
ليت الذى خاف العواقب … لم يطع تلك الهواجس
ومضى لغايته على سنن … الجوارح ، والأطالس
راجعت تاريخ الحياة … فما وجدت سوى الفهارس

من شعر الشاعر الكبير الأستاذ أحمد قنديل

بلادى

بلادى أين من يصبو　　إليك عند ذكراك ؟
ومن يسمو به الحب　　إلى تقديس مغناك ؟
ومن إن مسك الكرب　　وناديته لباك ؟

سلى من شئت فا الشعب
غفول عنك لا يدرى ! . .

بلادى والمنى تجرى　　مع الأقدار والدهر
بما نجهل أو ندرى　　من الخير أو الشر
أنرجو فى مدى العمر　　لك التحليق كالنسر

لقد عشنا وما نصبو
لغير علاك فى القدر . . !

ومن قصيدة له بعنوان .

مناجاة الحياة

أنا فوق ثغرك يا حياتى قبلة قد كنت إذ كان ابتسامك صادقا
وعلى ربى روض الطفولة فلة أهتز فى كفيك دوما عابقا
واليوم صرت ـ أيا حياتى ـ قطرة جذى تلمس فى خضمك دربها
وبمهجة الليل الكئيبة : زفرة تشكو إلى فجر السعادة كربها
أنا بين ماضى المنير وحاضرى الدا جى وتحت غمامـــة المستقبل
متفائل متشائم ، فى فكرى الدا مى عراك هائل لا ينجلى

وله من قصيدة :

فيا هيكل الأحلام فى معبدى الهوى ويا منبع الآمال ملأى بإيناس
ويا كوكباً فى أفق عمرى تألقت أشـــعته فانجاب غيهب إبلاسى
ضعى شفتيك الغضتين على فمى ليطفأ من برد اللمى حر أنفاسى
وخلى ذراعينا يضمان جسمنا كما ضم قلبينا غرامهما الراسى
حنانيك لا تمضى فما أطول المدى إذا غبت عن عينى وعاودت وسواسى

كلمة واجبة

رأيت من الواجب الأدبى ألا أسهم بقلمى فى هذه النظرات التى تضاربت فيها آراء الكتاب والأدباء وأبدى كل منهم رأيه بصراحة تجاه عملاقين من عمالقة الأدب فى العالم العربى .

ولقد تركت الباب مفتوحا على مصراعيه لمن شاء من الأدباء أن يتفلسف أو أن يناقش ، وبذلك أكون قد أديت الأمانة ودفعت التهمة عن نفسى إزاء ما كنت قد سجلته على صفحات البلاد السعودية منذ سنوات قلائل .

ولما أن رأيت باب الإجابة قد سد فى وجهى من قبل بعض الأدباء الذين أحجموا عن الكتابة ، وأبعدتهم ظروف العمل الرسمى عن مزاولة العمل الأدبى رأيت إذ ذاك أن أسجل فى هذا الكتيب الضئيل بعض المساجلات الشعرية التى دارت بين لفيف من شعرائنا المبرزين ترويجاً للأساليب العصرية فى الشعر العصرى الممتاز .

كما أن ثمة بعض المختارات الشعرية التى لم يتذوقها أبناء الجيل الحديث ، ولم يقف على حقائقها وأغراضها السامية رأيت من الواجب أيضاً أن أسجلها لتكون فى متناول كل كاتب وكل ناشىء .

وأنا وإن كنت أعد فى الأدب من ذوى الإقلال لعدم اشتراكى فى هذا الكتيب وفى غيره ، ولكنه يسعدنى بل ويشرفنى أن أعد فى النشر

من ذوى الإكثار ، لأن الغاية فى هذا وذاك هى تصدير أفكارنا وارائنا إلى العالم الذى ينكرنا ويجهلنا ونحن فى عصر النور والحرية ، وفى عصر الازدهار والنبوغ .

وأستطيع أن أؤكد بهذه المناسبة أننا نعيش اليوم فى أزهى عصر عرفه التاريخ فى البلاد العربية السعودية من أقصاها إلى أقصاها لا سيما ونحن السعوديين أشد بأسا ومراسا من أية أمة عربية شهد لها متنورو العالم وأقطاب الحياة الحرة فى كل صقع من أصقاع الدنيا .

وأخيراً أشكر لحضرات الأدباء الأفاضل الذين تفضلوا بالإجابة على أسئلتى المتواضعة التى لم أقصد بها إلا خدمة الأفكار والآراء الثاقبة فى محيطنا الأدبى .

والله من وراء القصد ؟

مكة المكرمة

عبد السلام الساسى
